

اشياء غريبة

☆☆☆

لا .. لا اريده صدى
لا .. لا اريده وعود

كل المدى فوقي ردى
كأنني دون الوجود

الليل .. في الليل هدى
ارتاح للنجم القعود

وحيدة .. كلي اهتدى
محلقا فوق الحدود

فكري وقلبي كالمدى
ينمد سخرا بالسدود

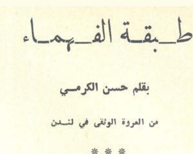
نور على نور بدا
تلفني دنيا الخلود

فأهتدي ، وما اهتدى
سر مع الفيض الشرود

من صخرة الكفر ارتدى
ومن حكايات الحقود

اعيدها .. ضنا بها
وشوكها مرعى الخلود

ثريا ملحس



بقلم حسن الكرمي

من العروة الوثقى في لندن

* * *

المدنية الغربية ، او بالاصح ، الثقافة الغربية كما هي عليه الان لها تاريخ طويل تطورت في اثنائه بتأثيرات مختلفة حتى وصلت الى مرحلتها الحاضرة ، وهي لا تزال تتطور . واكبر عامل فعال في هذا التطور هو الفكر الانساني الذي يتفاعل مع المحيط فيستحدث اراء جديدة اصلاحية ويتفاعل معه المحيط فيتغير المحيط بتأثير هذه الاراء الجديدة . وتقوم الثقافة الغربية على ثلاثة اسس : ١ – التراث الاغريقي ، ٢ – التراث الروماني ، ٣ – الديانة المسيحية . واتصف التراث الاغريقي بالوحدة الثقافية وامتاز التراث الروماني بالوحدة القانونية واتصفت القرون الوسطى من القرن الخامس حتى القرن الخامس عشر بالوحدة الدينية . وسأتكلم في هذا المقال عن القرون الوسطى بصورة موجزة وسريعة وكيف كانت هذه القرون تؤمن بأفكار واراء تختلف اختلافا اساسيا عن الاراء والافكار التي كان يؤمن بها العصر السابع عشر او الثامن عشر ، وخصوصا بين رجال العلم ورجال الفلسفة الجديدة . من اهم مميزات القرون الوسطى ان المعتقدات الدينية كانت هي المسيطرة ، وان الفرد لم يكن له كيان متميز عن البقية ولا موجودية مستقلة متحررة . فهذه السيطرة الدينية التامة جعلت المجتمع في ذلك الوقت ١ وحدة فكرة و ٢ وحدة اجتماعية . فكان كل فرد في ذلك المجتمع خاضعا لافكار معروفة لا محيد عنها ولمسلك مفروض عليه فرضا . فكما ان القرون الوسطى كانت معروفة بانها طغت على الفرد وقضت على استقلاله الفكري وتفرده بالسلوك ، كذلك كانت النهضة الجديدة معروفة بانها اطلقت الفرد من عقاله الفكري ، وحررته في سلوكه . وكان الغالب في القرون الوسطى انعدام روح التقصي والبحث العلمي ، بل كان لدى الناس في ذلك الوقت معتقدات معينة يؤمنون بها ونظام اجتماعي مقرر يعيشون في ظله خاضعين له تمام الخضوع . فكان الانسان في ظل هذه المعتقدات وهذا النظام يعيش تحت حكم واحد لا فرق فيه بين الدين والدولة ، لان الشيئين كانا شيئا واحدا ، الى ان جاء دور النهضة فاخذ المفكرون ينظرون في فصل الشيئين احدهما عن الاخر ، كما كان الحال في العهد الاغريقي ، وكان الزمان في القرون الوسطى زمان ايمان ، لا زمان تفكير كما كان العصر السابع عشر او العصر الثامن عشر مثلا ، ومعنى ذلك ان الانسان في تلك القرون كان من ناحية فكرية مقيدا بالنقل عن السلف وبالتقاليد والانظمة الاجتماعية القائمة ، وهذه عادة متأصلة بالانسان منذ خلقته ، يريد دائما المحافظة على القديم وابقاءعاداته ومعتقداته الموروثة ، والسبب الاول في ذلك ان هذا التعصب للماضي هو اسهل شيء للانسان ، لانه يريحه من كد الفكر في ابتداع اراء جديدة واقتراح انظمة حديثة ، والسبب الثاني ان الانسان بالطبيعة اميل الى الايمان بالاشياء والتسليم بها منه الى انكارها ومقاومتها وانتقادها والتشكك فيها ، لان هذا كله يستلزم جهدا فكريا ، ومن طبيعة الانسان ان يتهرب من الجهد الفكري الا اذا كانت ظروف المعيشة مما يحمله على بذل هذا الجهد . ولا نزال نحن حتى في هذا الزمان نؤمن بأشياء كثيرة ليس لها ما يبررها ويثبتها في الحقيقة الا انها من العادات القديمة أو المعتقدات الموروثة ، وقد ننقم ، وينقم المجتمع معنا ، على شخص او اشخاص ابتدعوا بدعة فكرية او اختطوا لانفسهم مسلكا يخالف مسلك المجتمع عامة . وفي الديانات عموما ما يحرم على مثل هؤلاء الاشخاص هذا السلوك الفردي. وهذا ما نعني به حينما نتكلم عن استبداد الماضي . فهذا الاستبداد يجر الى التعصب ، والى اضطهاد الفكر المتحرر . وقد خلقت حركة تعقب المبتدعين والمتشككين والمنحرفين في الدين حركة شك عامة واسترابة في كل انسان تقريبا ، فكان اذا تكلم شخص ، بكلام بريء ولكنه يختلف عن كلام الناس وقع ذلك الشخص موقع الريبة ، وربما عد مارقا او ملحدا ، ويكفي ان يقع هذا الموقع حتى يتورط في ورطة لا نجاة له منها . وهذه حالة لم تقتصر على القرون الوسطى ، بل هي موجودة الان في كل مكان ، والفرق ان الريبة كانت في تلك القرون محصورة في المجال الديني ، فأصبحت الان محصورة في المجال السياسي ، بعد ان ضعف سلطان الدين . فانت اذا تكلمت بكلام يختلف عن كلام الناس ، فانت اما ان تكون فوضويا او اشتراكيا او شيوعيا . .

ففي القرون الوسطى كان الهرطوقي لا يعد خائنا فحسب بل كان يعد عاصيا ايضا لان السلطة الدينية في ذلك الوقت كانت تجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية في الوقت الحاضر . فكانت اذا حاكمت مارقا، حاكمته وحكمت عليه دينا وزمنا بسبب هذه الثنائية في السلطة والمحافظة على هذه السلطة كانت من اهم الاشياء ، ومن اهم ما يساعد على ذلك ان يكون الناس عموما يدينون بمعتقدات معينة ويخضعون لسلطة واحدة معينة . وهذا يتطلب اول ما يتطلب تماثل الناس في آرائهم وافكارهم واتجاهاتهم ، وهو ما يعرف عادة بالموالاة او المتابعة او عدم الخروج عن الجماعة . ولكن الذي لاحظناه من دراسة التاريخ ان هذه المحاولة ، اي محاولة القضاء على البدع والاجتهاد الشخصي، واضطهاد الافكار، محاولة

خائبة لم تؤد في جميع عصور التاريخ الا الى نقيضها . وكانت هذه المحاولة في معظم الاحيان تصد الناس عن التفكير في تغيير الاوضاع وتحسين الاحوال خوفا من ان يعد هذا التفكير في هذا الاتجاه مروقا او خروجا من الدين او من السلطة . واخطر من ذلك ان يصبح لدى الناس اعتقاد جازم بان ما كان عليه الاباء هو خير حال فيجب التمسك به واحياؤه . ولعل وضع كثير من البلاد الشرقية في العصور الاخيرة بالنسبة الى المدنية الاوروبية راجع الى الاعتقاد بان النظم القديمة هي افضل النظم ويجب التمسك بها بل احياؤها ، وان الحياة الغربية الاوروبية حياة اقرب ما تكون الى البدعة فلا يجوز الاخذ بها .

من هذا يتبين ايضا ان القرون الوسطى كانت تفرض على الفرد حياة جامدة راكدة . فاذا كان فلاحا كان تحت سلطة الاقطاع الشديدة واذا كان صانعا كان تحت سيطرة النقابة التابع لها ، واذا كان من هؤلاء أو من هؤلاء كان في تفكيره وفي معيشته الدينية تحت سيطرة الكنيسة . ويجب ان لا يتبادر الى الذهن ان هذا الوضع كان وضعا سيئا بالنسبة الى ذلك الزمان . واذا قلنا انه سيء فليس ذلك بالنسبة الى زمانه، وانما بالنسبة الى زماننا، لان الاوضاع انما تكون نتاج الحالة في زمانها ، وتكون عادة مناسبة لزمانها . فلولا تلك الوحدة الفكرية والاجتماعية التي حققتها الكنيسة في القرون الوسطى لكان الوضع أسوا من ذلك ، بسبب الجهل وعدم الانتظام وبعد الانسان عن المدنية. ثم ان الكنيسة بنظام الرهبنة والاديرة حافظت على كثير من نواحي المدنية الكلاسيكية ، بل ان آباء الكنيسة امثال اوغسطين وجيروم وامبرون وغيرهم ، وخصوصا في القرن الرابع ، هم الذين اوجدوا فلسفة خاصة بالقرون الوسطى، ومهدوا السبيل لقيام الفلسفة المدرسية التي من رجالها ابيلارد ، وماغنوس وتوما الاكويني وغيرهم ، والتي حاولت تطبيق الفلسفة اليونانية ، وخصوصا منطق ارسطو ، في اثبات القضايا الدينية . وهذا ما جرى في الفلسفة في الدولة العباسية ، حينما انقسم البحث الفلسفي الى الفلسفة وعلم الكلام ، وكانت الفلسفة محاولة للتوفيق بين ارسطو والديانة الاسلامية ، وكان من رجال هذه الفلسفة التوفيقية الفيلسوف العربي الكندي في العصر التاسع الميلادي في بغداد . ومن رجالها ايضا الفارابي وابن سينا ، وكان الاشعري من المتطرفين في هذا المضمار في اول عهده ، وتزعم المعتزلة ، ولكنه انسلخ عنهم ، وأصبح اشبه ما يكون برجال الفلسفة المدرسية في القرون الوسطى . وكما ان الفلاسفة المسلمين انقسموا الى فلاسفة والى علماء كلام ، كذلك انقسم فلاسفة القرون الوسطى في أوروبا في القرن الثالث عشر (الذي يسمى احيانا باعظم القرون) الى شيئيين (رياليست) والى اسميين (نوميناليست) . واعتمد الشيئيون على افلاطون ، واعتمد الاسميون على أرسطو ، ومهد هؤلاء الطريق للحركة العلمية الطبيعية فيما بعد .

ولكن هذا النزاع بين الفلاسفة في القرون الوسطى بصورة عامة فتح الطريق ولا شك امام التفكير في المستقبل . ولكن هذا التفكير لم يأت الا حينما توافرت له الظروف المناسبة ، والقرون الوسطى ، ولا شك ، لم تكن مناسبة . لان من اهم الاسباب لتأخر ظهور التفكير الحر انتشار مبدأ الخضوع للماضي والنقل والتقاليد .

ولكن ، كما ان الاضطهاد الفكري لم يؤد الى النتيجة المرجوة بل الى نقيضها ، كذلك التمسك بالقديم لم يقو على وقف موجة التجدد والتغيير .

وقد يتساءل القارىء الكريم : ما علاقة هذا كله بطبقة الفهماء ؟ والجواب ان هذا كله مقدمة تعرف بها مرحلة من مراحل التطور الفكري التي ادت الى ظهور طبقة الفهماء فيما بعد .

لندن — حسن الكرمي

شوق على شوق

●

هات من ذاك الحديث الممتع
يا خدين الروح شنف مسمعي
قد سلاني الكل لا خل هنا
فابق عندي وتعال اجلس معي
غربتي اضفت على القلب اسى
فاطرد الاحزان وامسح ادمعي
ارو من شعرك لا تبخل به
انت في شعرك فذ ألمعي

اسكب التحنان سكبا في دمي
وارو روحي انها كالبلقع
هات حدث لحكايات جرت
في صبانا عند تلك الاربع
تلك دنيا في جمال وهنا
قد تقضت هل لها من مرجع
يا خدين الروح اني منصت
هات من ذاك الحديث الممتع

لندن — فؤاد جبور حداد

من « العروة الوثقى »

كادت انفاسه تتقطع من البهـــر ، وتوترت اعصابه ، وتخلج جسـده ، واغمض عينيه عندما مر امام القصر الباذخ ، وانطلق يوفض في سـيره المتعثر ، وترامى اليه صـوت فيه حنة ذائبــة يناديه .. احمد .. احمـد .

وخيل اليه انه في منام ، وبهمـت عليه الامور ، واذا بها تركض وراءه لاهثة ، خافقـة الصدر ، مـوردة الخدين ، تمسك به ، وتشده اليها. وندت من قلبه انة لاعجة . وتمتم : منى .. منى .. وهزت يده برفق وحنان ، وقالت بصوت متهج فيـه انفعال شديد : الحمد الله علـى السلامة .. متى عدت يا احمد ؟.

ورفع اليها عينين كبيرتين جـال فيما الظمأ الشديد واجاب : امس .

ـ لماذا لم تأت لتراني ؟.. يا لك من قاس .

وغرق يتأملها في تجهد وولة .. انه لا يصدق انها امامه بكل ما حباها الله من مفاتن .. ولكنها الحقيقة .. انها تجاذبه الحديث ، أيستحق هذه النعمة ؟. واغرورقت عيناه بالدموع ، وتأوهت ، وقالت : انت تبكي يـا احمـد ..

ـ لا .. يا منى ..

ـ تعال معي .

ـ الى اين ؟.

ـ الى البيت لنتمشى في الحديقة ، ونتحدث .. كلي شوق اليك .

ونظر اليها في ذهول ، وقد نصل لونه ، وماجت الرهبة في عينيـه .. اتدعوه الى القصر ؟. وهو حتمـا سينال رصاصة تودي بشبابه ، وبان عليه التردد الممزوج بالخوف مـن المجهول . وقال بصوت لفه الحزن : الحمد لله الذي متعني بمرآك يـا منى . واعذريني اذا ما خالفـت رغبتـك .

ورنت ضحكتها ككركـرة الجدول .. وهتفت بمرح : هل انت خائف ؟ هيا بنا يا احمد ..

وامسكت بيده تجره ، وانتشى من حرارة هذه اليد النضيرة ، فاندفع معها ، وزايله الاحساس بالخطـر .

وكانت الشمس تتراقص بأشعتهـا الباهتة في الحديقة الزاهية التـي ماست فيها شتى الازهار والاشجار. ورفعــت راسها الجميل تياهــة ارستوقراطية ، وعلت ثغرها ابتسامة حانية ، وقالت : انا اسعد مخلوقة الان ..

ـ ايامك كلها سعادة ان شاءالله.

ـ لن اكون سعيدة الا اذا كنـت بقربي .

ـ سأترجم الحلم الى حقيقة ..

ـ حتى لو لم يتحقـق الحلم .. يظل جميلا .

ـ احمد .. هل انهيت دراستك ؟

المعـــجزة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

ـ بلى .

ـ انت الان طبيب عظيم .

ـ طبيب .. ولكن بدون عظمة .

ـ لا تتواضع يا احمد ..

ـ انها الحقيقة .

ـ احمد .. لقد غبت عني سبـع سنوات .. صارحني الم تنسني في خلالها ؟.

ـ وهل يستطيـع الانسان ان ينسى روحه التي تمنحه الحياة ؟

ـ افهم من هذا ، انك ما زلـت تحبنـي .

واطرق خجلا ، وقد احمر وجهه الجميل . وتمتم : ما زلت علـى حبك ، وسأظل حتى بعد موتي ..

ـ كيف بعد موتك ؟.

ـ اذا شاء ربي ان ادخل الجنة . فلن افكر في حورياتها .. سأظل على حبك اقتات منه ، واعيش علـى ذكراه .

ـ الى هذا الحد ..

ـ واكثر ..

ـ اكاد لا اصدق ..

ـ لماذا ؟.

ـ الم تستطع واحدة من حسان باريس ان تسيطر عليك ؟

ـ لا ..

ـ صحيح ؟..

ـ قسما بالله .. انك لم تبرحي فكري لحظة واحدة .. كنت احلـم فيك ليل نهار ، وكنت السور المنيع الذي صانني من كل زلل .

ـ هل انت واثق من كلامك ؟ . اني اغار .

ـ منى .. تأكدي انني في خـلال هذه المدة التي امضيتها في باريـس عشت راهبا متبتلا في محراب الحب .. حتى لم اسمح للفكر المجـرد ان يعجب بسواك .

ـ احمد .. هذا جميـل .. اذا كان صحيحا .

ـ ولم اكذب ؟.. تصوري .. ذات مرة احبتني زميلـة جميلة ، وفي ساعة ضعف تواعدنا على اللقاء فـي غرفتي .. وجاءت يدفعها حب كبير وكانت في نهاية الروعة والجمال .. وفجأة رأيتك متجسدة امامـي .. كالملاك الحارس يصد عني كل أذى .. وبكيـت ، واعتذرت لصديقتـي ، وصرفتها ، وبعد هذه التجربة المرة اغلقت قلبي عن كل نداء ، وصنت جسدي عن كل عبث .. ذهبت الى باريس ، والحب يلتهب بي ، وعدت منها ، وانا اشد حبا .. صدقيني يا منى انك حبـي الاول والاخير .. رغم انه حب بائس لا تومض فيه بارقة امل .. ولكنني راض بمصيري .. مستسلم لارادة ربي ، اننـي اتعذب كثيرا .. ولكنني اتحمل هذا العذاب ، ولا ارضى ان اتحرر منه ، ولو توجوني ملكا على العالم .

ورقت عواطفها ، وراحت تربت

على يده في وداعة وحب ، وهتفت : ما اعظمك يا احمد .. وانا لم انسك دقيقة واحدة .

وزفر احمد وقال : هل تسمحين لي ان اودعك ؟

– تودعني ؟..

– قبل ان يأتي احد من ذويك ، ويرانا .. انا لا اخاف على حياتي ، ولكنني اخاف عليك منهم .. لا اريد ان يمسوك بحرف واحد ..

– احمد .. لن تذهب ..

– منى .. سأعود غدا الى باريس .

– تعود الى باريس ؟.

– نعم يا منى .. سأشتغل هناك .. فقد عدت الى بلدنا لاصحب معي خالتي التي باعت كل ما تملك لتعلمني .. انت تعلمين انني فقير يتيم الابوين .. وليس لي سوى هذه الخالة الطيبة ، وقد كتبت الي مؤخرا انها مريضة ، وتود ان تراني قبل ان تموت ، فأسرعت بالمجيء لاصحبها معي .. بيد انني – لسوء حظي – وجدتها قد ماتت منذ بضعة ايام .

– لن تعود الى باريس ..

– لماذا لا أعود .. وليس لي صلة تربطني بأحد ..

– وأنا ؟..

وتأوه ، وغمغم : سأعود بسببك ..

– بسببي ؟.

– نعم .. وفهمك كفاية ..

وفي هذه اللحظات سمع خفق اقدام تقترب منهما ، والتفت .. ورأى والدي منى يقتربان منهما ، فمازجه القلق ، وخشي ان تهب العاصفة على معبودته ، ولعن في سره الساعة التي نازعته نفسه بها ليمر امام القصر ليشم عبقها .. وفجأة ترامت الى اذنيه صرخة ثاقبة .. ام منى تهرع الى ابنتها ، فاتحة ذراعيها ، والدموع تندي عينيها ، وتضمها الى صدرها بعنف ، وتغمرها بقلبها ، وزفراتها تتصعد .. وها هو الاب بدوره ينطلق الى ابنته ، وقد ارتسمت على وجهه الدهشة والفرحة ، وانتزعها من بين ذراعي الام ، وراح بدوره يمطرها بقبله ، وهو يبكي .. وعجب احمد .. ما معنى هذا المنظر الدراماتيكي ؟. وما سببه ؟

وتخلصت منى من ابيها ، وتعالت ضحكتها صافية سعيدة ، وصاحت : بابا .. ماما .. هذا احمد .

واقترب منه الاب ، والسعادة تنبض في ملامحه ، ومد اليه يده مصافحا . وقال : الحمد لله على السلامة يا بني .

وتأثر احمد .. ما هذه اللهجة التي تذوب رقة .. لقد اعتاد منه الصلف والوعيد . وخيل اليه انه في حلم وردي نسجه خياله ... الحقيقة غير هذا .. وصاقبته الام بدورها ، وراحت تصافحه ، وترحب به .. حتى تأكد له انه فعلا في منام جميل ..

وأعاده صوت منى الى وعيه ، وهو يتردد عذبا سمحا في اذنيه : ماما .. احمد سيعود غدا الى باريس .

– لن يعود يا منى .

وقال الاب : لا .. لن يعود .. أليس كذلك يا احمد ؟.

وطفق احمد يجيل نظرات زائفة بين الاب والام ومنى .. وهو لا يفقه شيئا مما يدور حوله .. ولم تسعفه الكلمات بل تعثرت في حلقه . وصاحت منى : لن تعود الى باريس يا احمد . عدني بهذا ..

– امرك .

– ماما .. بابا .. لقد استعدت صحتي بفضل احمد ..

وقفزت ، ووثبت ، ونطت .. حتى خيل لاحمد ان مسا اصابها ، صاحت : انا سعيدة يا ماما .

– الله يديم عليك هذه السعادة يا منى .

– اذهبا برعاية الله .

– انني مشتاقة الى المشي .. وسأخترق الشوارع ليرى الناس سعادتي التي حرمتها طويلا .

– سعادة دائمة .

– هل تسمح لي يابا بالخروج مع احمد ؟

– طبعا .

والتفت الى احمد ، وقال : لا تتعبها كثيرا في المشي .. عودا بعد قليل .. وسنتناول العشاء معا ...

واستدارت صوب الباب ، شامخة الرأس ، تياهة سعيدة .. وتبعها احمد معطل الارادة لا يدري شيئا من هذه المعميات ، واشارت بيدها الى والديها ، وهي تبتسم ، وقالت : الى اللقاء ...

وسارت معه في شارع تميس على جانبيه الاشجار . وكانت الشمس قد طفلت وراء الافق .. واقتربت من اذنيه ، وهمست : احمد يجب ان تخطبني من والدي بعد العشاء .

وانتفض احمد .. وقال : لا .. يا منى .. لنكن صديقين .. هذا احسن!

– يجب ان تخطبني اذا كنت لا تزال على حبي .

– تذكري التجربة الاولى . .

وتنهد ، ثم اردف : لنعد قليلا الى الماضي .. كنت اتردد على قصركم ، لانني كنت زميل اخيك هيثم في الدراسة ، وتعارفنا ، ولست ادري كيف أحببتك حبا صامتا ملك على مشاعري .. واخيرا علمت انك تبادلينني نفس عاطفتي .. وقلت لي .. انك لن تتزوجي غيري .. انني فقير ، لا املك سوى اخلاقي النبيلة ، وشبابي .. وهي بضاعة لا قيمة لها عند اسرتك الارستوقراطية .. وعندما نلت الشهادة الثانوية دفعتني رغما عني لاطلب يدك من والدك .. حتى انصعت لرغبتك .. لقد كنت معصوب العينين ، قليل التجربة ، فاندفعت لتحقيق ارادتك .. وما ان فتحت فمي ، وعرف والدك رغبتي حتى لطمني ، وركلني برجله ، وطردني شر طردة . وخرجت لا الوي على شيء .. اين انا منك ؟. الفتاة المدللة الضخمة الثراء .. الوحيدة بين خمس شباب .. وذهبت الى

بيت خالتي محزون القلب ، لا أعي من امري شيئا .. ثم جاء اخوك هيثم صديقي منذ الطفولة .. كان يحمل في يده مسدسا ضخما .

وصرخ أمام خالتي : سأقتلك اذا قلت لانسان انك تجرأت على طلب يد اختي .. وقذفني بشتائم لا تحصى . وبكت خالتي .. وفي اليوم التالي باعت بستانها بثمن بخس، وارسلتني الى فرنسا لادرس الطب .. وقالت لي : لا تعد حتى تنتهي من دراستك .. ان هؤلاء يستطيعون ان يقتلوك .. ولا يجرؤ احد ان يقول لهم لماذا .

وسكت .. وقد شحب وجهه .. ثم قال وهكذا ترين يا منى انني لا استطيع ان اقدم على تجربة اخرى .. قد يكون فيها الموت المحقق لي .

وصاحت مرحة : احمد .. كل شيء تغير الان ..

ــ الانني اصبحت طبيبا تغيرت عقلية اهلك ؟.

ــ لا . لا لهذا .. بل لانك اعدت الابتسامة الى القصر الذي حرمها منذ زمن طويل .. انهم مدينون لك بهذه السعادة التي رأيتها منذ قليل .

ــ انني لم افعل شيئا .

ــ الم تلاحظ ان والدي رحبا بك كثيرا ؟.

ــ نعم .

ــ اتدري السبب ؟ .

ــ لا ..

ــ لانك انقذتني .

ــ انقذتك ؟ ..

ــ اسمع يا احمد .. لقد كنت مقعدة منذ ثلاث سنوات .

وترنح .. وكاد يهوي ، وصرخ : مقعدة ..

ــ نعم . كنت مشلولة ، واخذني والدي الى اوربا ، واميركا .. ولم يستطع الطب ان ينقذني .. حتى رايتك ، فكان شفائي على يدك .

وتطلع اليها بعينين مذعورتين ، وهتف : لا افهم شيئا مما تقولين .. ما هذه الالغاز ؟

ــ لا استطيع ان اصف لك العذاب الذي عانيته بعد ذهابك الى فرنسا . هجرت المدرسة ، واصبت بانهيار عصبي ، وثار بي والدي ، وعندما راى مرضي ترفق بي ، وافهمني ان حبي لك هو عبارة عن نزوة ستزول قريبا لانني في السادسة عشرة من عمري .. هذه السن الخطرة التي تتيقظ فيها انوثة الفتاة ، وتتجه اتجاها معوجا كما حدث لي في حبك .. ولن البث حتى ابرا من هذا المرض عندما انضج .. وساضحك من هذا الحب المزعوم .. وافهمته ان حبك سرى في دمي ، ولا حياة لي بعد منك ..واوضحلي الفرق الهائل بيني وبينك .. انا بنت الحسب والنسب ، وربيبة الثراء ، وانت الفقير العديم الاصل .. ارجوك .. لا تتألم .. هذه عقليته .. ولكنني تمردت عليها ، وسفقها .. وبقيت معتصمة بالامي .. فطاف بي البلاد لانسى .. ولكن النسيان لم اعرفه . كان حبي لك يزداد كل يوم .. وافهموني انك تزوجت في فرنسا ، ولم اصدقهم لانني أعرف حبك لي . وجاء الخطاب الي من كل مكان ، وافهمتهم انني لن اتزوج .. ورضخوا لارادتي مرغمين .. ومضت علي اربع سنوات ، وانا اعيش في دوامة من القلق واليأس ، حتى طلب يدي ابن عم والدتي .. وقرر أهلي ان اتزوجه .. شئت ام ابيت ، وواجهوني بقرارهم .. واعلنت الخطوبة .. وحمل الي الهدايا النفيسة من اللؤلؤ والماس .. ورفضت ان اضع خاتم الخطوبة في اصبعي .. وأخيرا بعد حرب طويلة ، اصبحت مسلوبة الارادة ، وانهارت مقاومتي ، وفكرت بالانتحار عندما ازف اليه .

وسكتت هنيهات ، وقد تقلصت عضلات وجهها الجميل، وهتف احمد: انني شديد الاسف لما سببته لك من الام .

ــ لا تأسف على شيء يا احمد .. المهم النهاية .. كانت وفق ما اريد .

ــ من يدري ؟ .

ــ أنا متأكدة .

وتالقت اطياف السعادة في عينيها، وقالت : دعني اكمل لك مأساتي . لقد تمت الخطوبة .. وبعد ثلاثة ايام دعاني الى السينما ، فاعتذرت ، والح حتى وافقت رغما عني .. ولبست ثيابي، وجلست في الصالون، وهمس خطيبي في اذني : انني اجمل فتاة في الدنيا .. وتلقيت غزله كلسعات العقرب . ثم قال لي بعد ان القى نظرة على ساعته : حان الموعد .. تفضلي .

واردت النهوض .. ولم استطع .. ان قوة هائلة تشدني الى المقعد . وتمنع اعضائي عن الحركة .. وبذلت جهودا مضنية لا تحرك ، فلم استطع .. كنت مسمرة في مقعدي .. لا اقدر حتى على التململ .. وصرخت .. واسرع الي اهلي، ونادوا الطبيب، وبعد فحص دقيق أعلن انني اصبت بالشلل النصفي .. وجن اهلي ، ولا استطيع ان اصف لك لوعتهم .. وعرضوني على امهر الاطباء ، ثم اخذوني الى اوربا واميركا .. وحاول الطب ان ينقذني ، ولكنه خاب .. وعدت الى بلدنا ، وانا مقعدة بائسة معذبة لا امل لي في الحياة ..

وبكى احمد .. وزرفت اليه قائلة : لماذا تبكي يا احمد ؟

ــ كيف لا ابكي وقد اصابتك كل هذه المصائب .

ــ العبرة بالنهاية ، والحمد لله جاءت سعيدة ..

ــ اكاد لا اصدق ..

وافتر ثغرها عن ابتسامة راضية، وقالت : وحدثت المعجزة عندما لمحتك امام بيتنا . اما اعتقد برحمة الله ؟

ــ لا اعتقد بغيرها .

ــ هل يعتقد الطب في المعجزات ؟.

ــ الطب ليس سوى وسيلة .. اما الشفاء فبيد الله ، وهو سبحانه قدير على كل شيء .

ــ لقد لمحتك امام بيتنا ، ورفرف قلبي كالذبيح ، وثارت عواطفي ،

همسة حب

***

وقال : انا لا اطيق الحياة ... بغير وجودك يا منيتي !
فأنت ربيع الحياة الجميل ... وانت السنا في دجى وحدتي
وصوتك في مسمعي اغنيات ... عذاب يهدهدن من حيرتي
وأستاف منك عبير الرياض ... فتصبح دنياي كالجنة ..
وتمضي حياتي بقربك ومضا ... وليلي يطول على يقظتي
وكل اللواتي اراهن حولي ... يذكرنني بك يا فتنتي ...
فتبسم عيني وتسعد روحي ... ويخفق قلبي بالفرحة
فيحسبن اني بهن اهيم ... خدعن بما لاح من بسمتي
وسر ابتسامي طيف خيالك ... يمر ببالي كالنسمة
وما انا الا بحبك احيا ... اذا ما التقينا وفي الفرقة
ويهمس في اذني حديثا ... ارق صفاء من الرقة
يقول : ابسمي انت لم تخلقي ... لغير الهوى في ربا روضتي
خلقت شعورا وحسا رهيفا ... وقلبا يذوب من الآهة
ودمعك يهمي على الوجنتين ... اذا ما سمعت شجي لوعتي !
ودفء حنانك يسري حنينا ... بقلبي فاطرب من نشوتي !
فؤادك يخفق في لهفة ... واني اعيش على الخفقة

مصر الجديدة — روحية القليني

وناديتك لاراك ، واتملى من محياك الجميل ، واصغي لحديثك العذب ، وكنت مستلقية على مقعدي وحيدة يفريني العذاب .. وتابعت النداء والصراخ ، وأنت لا تسمعني ، وفجأة واتتني قوة عجيبة ، فاندفعت اقفز من مقعدي وراءك ، وركضت الى الشارع لاراك ، واطفيء النيران المتأججة في صدري .. ولم اعلم ان المعجزة حدثت الا بعد مجيء والدي .. لقد ذهلت عن كل شيء ، ونسيت انني مقعدة طوال هذه المدة .. كنت احدثك ، وانا لا اعي من امري شيئا .. ولم يخطر لي مرضي الا بعد ان اسرعت امي الي تعانقني .. ان الله رحمني بعد طول عذاب .. ابعد هذا يعارض اهلي بزواجنا ؟ تأكد انني لو فعلوا لن اعود مشلولة .. بل ستنتهي حياتي .

ـ والله يا منى يخيل الي انني في حلم طويل لا يريد ان ينتهي .

ـ لقد شملنا اللهبرحمته يا احمد.

ورجعا الى القصر .. وفي مدخله كان هيثم شقيق منى الاكبر منتصبا بقامته الفارعة ، ومنكبيه العريضين، وسحنته الجاهمة ، وصوت مسدسه عندما راهما .. والمت الرعدة باحمد، لقد خشي ان يطلق الرصاص على شقيقته ، فدفعها عنه بعيداً ، ولكنها اسرعت ووقفت امامه كأنها تحميه بصدرها من اخيها ، غير انه اسرع ، ودفعها عنه بشدة ، وصرخ : اقتلني يا هيثم .. ليس لها ذنب .

وصوب هيثم المسدس الى صدر احمد ، وصرخ : لقد هددتك في الماضي بالقتل لانك تجرأت على طلب يد منى .. اما اليوم ، فانني سأقتلك اذا لم تتزوجها ...

والقى بالمسدس في جيبه ، وفتح ذراعيه ، وتهللت قسمات وجهه، وهو يهتف : اهلا وسهلا بأحمد اخي وصهري .. لقد اعدت السعادة الى نفوسنا .. التي قتلها الحزن .. وعانقه وهو يبكي .

طرطوس — محمد حاج حسين

خيال الحبيب

***

ناديت احبابي وما من مجيب ... يا بئس ارض ليس فيها حبيب
ما هاجني التذكار الا بكت ... نفسي امانيها بدمع حبيب
ان الاماني على رحبها ... تضيق بي بعد انبلاج المشيب
اني ادرت الطرف لست ارى ... قربي خدينا مخلصا او نسيب
اوراق امالي ذوت وانطوت ... تلك الاماني الغر بئس النصيب
ما عيشة النازح في بلدة ... لا خل فيها للغريب الاديب
فارقت خير الصحب قدما وهل ... بعد فراق الصحب عيش يطيب

كم ليلة بت اناجي الدجى ... وأرصد الانجم حتى الصباح
أبث ليلي من هموم الهوى ... شكاية كم رددتها الرياح
مستنجدا بالوحي هلا به ... ما يبرىء الداء ويشفي الجراح
ابكي اخلائي وعهدا مضى ... ما بين احباب وكأس وراح
فذكريات الامس لم تبق لي ... بعد النوى غير الاسى والنواح
فأين ذاك العهد مني وما ... ارجوه من رجعي لتلك البطاح
واين مني شمس تلك الحمى ... تداعب الاهداب قبل الرواح ...
فاطبق الاجفان لكن على ... ذاك السنى يكسوه عرف الاقاح

يا نازحا طال عليه الزمن ... في غربة لم يجن منه وطر
قل لي : أأنستك النوى موطنا ... يذوق من هجر البنين الامر
قد حرم النوم على ناظري ... ذكر حبيب بات ملء البصر
ايام كنا نستطيب اللقا ... تحت الفصون الملد بين الشجر
ناوي الى الروض نبث الهوى ... عرائس الوادي وتلك الحجر
وصادحات الطير ينشدن من ... عذب الاغاني ما يهز الفكر
انى تلفت ارى خاطري ... معانقا ذاك الخيال الاغر

الارجنتين — فائق جبور

مساوئه . واذا كان ذلك ما يحول دون تفهم النظام فان اي تبديل يحدث سوف لا يكون تقدما بل تغييرا .

ان الفكر التاريخي يعرض علينا ان نفهم بعمق النظام الذي نأمل ان يرتبط بنظام آخر بعلاقة تقدمية ، وينبغي ان نعانيه وان نتمثله وندرك ما فيه من ميزات وما فيه من مساوىء . ومن هنا نستطيع ان نبني الاراء المقترحة في نظام بديل يتسم بالتقدم .

بهذه الطريقة وحدها ، نبني التقدم التاريخي .

* * *

ومجمل الرأي ان التقدم التاريخي ليس مرتبطا بالتطور الطبيعي ، ولا صلة له كذلك بما وضعه بعض المؤرخين من نظريات تاريخية كنظرية الدورات التاريخية وغيرها .

انما التقدم التاريخي يكمن في الجدة النوعية حيثما تتكون حلول لمشكلات لم تكن محلولة في مرحلة سابقة .

وهناك طريق واحد للتقدم التاريخي يفرضه الفكر التاريخي ، وهو المعاناة والفهم والتمثل للنظام الذي يقصر عن حل المشكلات — وحيث تفهم وتدرس وتطبق الحلول المقترحة التي ينتظمها نظام جديد يتسم بالتقدم .

اما المعنى الذي يكرره كثير من الكتاب ، ويردده ايضا بعض الساسة عن «حتمية التاريخ» فلا صلة له بالنظريات التاريخية ، ولا علاقة له كذلك — في نظر كولنجوود — بمعنى الحتمية المقدرة وفق قانون تقدمي . واحسب ان هذا المعنى مرادف — اذا اخذنا بمنطق كولنجوود — لمعنى عام وهو « انه اذا استوحت الشعوب منطق التاريخ فمن المحتم ان تصل عن طريق واحد الى التقدم » او بعبارة اخرى (اذا عملت الارادة الشعبية في بلد ما بمنطق التاريخ فمن المحتم ان تجد طريقها الاوحد للتقدم) .

بور سودان — اميل توفيق

الى روح نسيب عريضة

لا الاهل أهلك تلقاهم ولا الجار   وليس ينفع بعد النأي تذكار
يا ضاربا في بلاد الله يذرعها   طولا وعرضا وما يبنيه ينهار
أتقطع الدهر في الافاق مغتربا   كان عمرك أحداث وأخبار ؟
مذ غبت لم يبتسم عود لساقية   ولم يهش الى الانغام مزمار
ولم ترجع طيور الروض أغنية   ولا صفت « مذ خلت من أهلها الدار »
وأنت دأبك في حل ومرتحل   الشوق يدفع والاحلام تيار
جزت المحيط ولم تبلغ به أربا   أبعد ذلك في الاعماق أغوار؟
رفقا بنفسك اضنتها متاعبها   وحطمتها تباريح وأفكار

عودا الى سالف الايام نذكرها   ففي القديم من النعماء آثار
أيام نحسب ان الكون بلدتنا   فيها تناهى أقاليم وأمصار
واليوم جاوزت الافلاك ذرتنا   فهل شفانا من الاكدار تسيار ؟

يا نازحا ذاب شوقا نحو موطنه   لو خيروك ؟ أغير الاهل تختار ؟
فارجع اليهم قبيل الموت يدركهم   وفوق قبرهم تنهال أحجار
واجلس الى الموقد الفضي متكئا   فحوله من رفاق العمر سمار
يرددون أحاديثا لهم سلفت   فإن هم سكتوا فالناطق النار
واسمع زغاريد ابريق ينادمهم   كأن ترتيله المنغوم أشعار
وقهوة مرة أنفاسها عبق   تفوح طيبا اذا عشاقها داروا
تعلها من بنات العرب طائفة   وجوههن اذا ما لحن اقمار
وان تحدثن ترجيع الحمام على   زهر الغصون .. ووجه الدهر نوار

يا نسمة كلما هبت نحملها   منا السلام لمن في بعدهم جاروا
قولي لهم : مرحبا بالاهل في بلد   يحن شوقا اليهم كيفما ساروا
وعينه ما تزال الدهر ساهرة   والدمع منها على الخدين مدرار
عساهم يسمعون الصوت والهفي   فيرجعون وللاحباب اعذار

يا دار انت المنى والحب يا دار   لولاك ما هزت الاعماق اسرار
مضى بنوك لنيل المجد من قدم   فهلل النصر كبرا وازدهى الغار
خمسون عاما طواها الشوق مغتربا   كأنها لمحة .. والدهر دوار
وانت ترنو الى الاوطان مرتقبا   يوما تقر به عين وأوطار
تقول : عد بي الى حمص .. الى وطني   عسى تحف بنعشي ثم ازهار
واجعل ضريحي سوادا من حجارتها   تبكي عليه مصابيح وانوار
وفوق قبري ضع تمثال مغترب   بكفه سيف جوع النفس بتار
والجوع يرفض ان تروى له كبد   اذ ليس يروي عطاش الروح انهار
وليحمل القلب باليسرى فان نفرت   منه البرايا فلا خوف ولا عار
فالشاعر الحر يفنى في محامده   اذ قلبه هبة والموت اثمار

« نسيب » لم تغتمض عيناك مذ هجرت   تلك المغاني وهز الروح اعصار
وكنت ترجو ضريحا في مرابعنا   فغيبتك بأقصى الارض اسوار
يا بهجة العمر نقضيها بحسرتنا   هلا رعتنا بأرض الشام اخدار ؟

معاهد الانس كم حياك مغترب   خلف البحار .. وكم اشجته اسفار ؟
يود لو تنطق الدنيا بعودته   وتستبيح لقاء الاهل اقدار
وكلما هد سترا عن دنى امل   طوت رؤاه على الايام استار
أليس كل نهار في تغربه   كأنه في صميم القلب مسمار ؟

ابناء شعبي لقد خلفتم وطنا   سماؤه حلوة والاهل اخيار
ماذا عليكم اذا عدتم اما شخصت   الى المهاد من الاعماق ابصار ؟
هذي دياركم عن صدرها نفضت   ذل القرون فلا اثم وأوزار
تدعوكم اليوم للتصنيع عل غدا   تذوب في فمها البسام اسحار

حمص

عبدو مسوح

وجدلكما الصائب ، ما يشفي صدور قوم مؤمنين !

فتهلل وجه واصل وقال في ابتسام : سيصنع الله كل خير لامير المؤمنين .

فتابع الخليفة، يقول : على اني لن ادخر وسعا في اعداد القوة ، وتعبئة الجيوش ، فاذا لم تصلا مع القوم الى راي ، فالحرب قائمة بيننا على قدم وساق ! حتى نحمي العرين . فلم يتريث واصل وقال : أن الحرب — يا امير المؤمنين — لن تبلغ من القوم مبلغ الجدال، وقد عبأ الحجاج جيوشه فما استأصل لهم شأفة ، وبذل زياد بن ابي سفيان مكيدته وحربه فما سحق لهم هيبة، بل ان شبيبا الخارجي دخل الكوفة عرين الحجاج ، وطاف بها ، وقتل كثيرا ممن يعتصمون بمساجدها ، وبعث الارهاب في النفوس دون احجام .

فرد عبد الحميد يقول — وقد توجه بالحديث الى واصل — اما ان ذكرت شبيبا فاعلم انه اسد الخوارج ! لقد هزم جنود الحجاج بسبعين رجلا من ابطاله !! وحين دخل بقومه الحصن اوقد الحجاج عليهم النار المشتعلة فكادت ان تأتي عليهم ، على قلتهم القليلة ! فامتشق شبيب السيف وتقدم اصحابه ثم هجم على اللظى فخاضه كالماء غير هياب !! وانتبه الحجاج فاذا زبانية جهنم يخرجون من النار ويهجمون بغتة فينتصرون !! ويمينا لولا ان شبيبا قد غرق بدجلة ،لامر لا حيلة له فيه ما تراجع عن الحجاج !

فأشار واصل اشارة الموافق وقال في تعقل رزين : ان شجاعة شبيب مقبولة معقولة ، فهو رجل على كل حال ! ولكن ما رايك في شجاعة غزالة وقد اقسمت لتلجمن على الحجاج غابه ، فتصلين في مسجد الكوفة صلاة كاملة بمطولات القرآن ... ثم اقتحمت الحصار وبرت باليمين !! والحجاج خائف طريد يستمع الى قول معيريه

فرد عليه الكاتب يقول : هو ما ذكرت يا اخي : ثم توجه بنظره الى امير المؤمنين وقال في ادب : لا شيء اجدى من الاقناع والجدل يا مولاي عساهم يختلفون !!

وهز الخليفة رأسه موافقا ، واثنى على واصل ثناء مستطابا ثم خلع عليه ، واستمهله الى وقت قريب ، حين تأزف الآزفة ، فيكون مع صاحبه سفيري امير المؤمنين .

وخرج الرجل كما جاء مبجلا مشكورا، وهم عبد الحميد بالذهاب معه ، فأشار عليه مروان ان يتريث ، فجلس مفكرا يستشف ما هجس بصدر مروان بعد لقاء واصل ، وانتظر ان يصل معه ما انقطع من الحديث في امر الخوارج، واعد لكل سؤال جوابه السديد ولكن الخليفة يقول : لقد انتهينا من امر ابي حمزه الخارجي الى حل موفق ، فماذا تقول في امر نصر بن سيار !!

ففوجيء عبد الحميد بسؤال لم يتوقعه ! وسأل في دهشة : ما خطب نصر بن سيار يا امير المؤمنين ؟!

فقال الخليفة متضايقا : لقد كتب الي من خراسان يخبرني بظهور ابي مسلم الخراساني وقيامه بالدعوة لبني هاشم ! وقد التف حوله العدد الكثير .

فعض عبد الحميد على شفتيه ، وقد اذهلته المفاجأة الباغتة ، فجعل عرقه يتساقط ثم قال في انقباض عابس امهل نصرا يا امير المؤمنين ، واكتب له ان يقاوم وحده بمن معه من الجيش دون انتظار الى مدد لاحق من الشام !! اما نحن فلن نحارب في جهتين مختلفتين فاذا فرغنا من الخوارج قدونا خراسان !!

فقال مروان ، في ضيق متأزم : ان عذابي لطويل .

ونهض قائما ... فخرج وراءه عبد الحميد ...

هلا برزت الى غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جناحي طائر

الفيوم   محمد رجب البيومي

عيناك .. وكبريائي

لون عينيك أم أديم السماء
واخضرار الربيع أم زرقة
وطيوف وعالم مترام
لست أدري ... لا والذي
قربي وجهك الصبوح قليلا
قربه ... لا ، لا تخافي فاني
عصمتني عن الخنا نفس حر
أي سحر من بين جفنيك يسري
جاش في خاطري ، فهز كياني
طالعتني عيناك من عالم الغيب

وفضاء أم عالم لا نهائي
البحر تناهت في الموجة العذراء ؟
من أمان ... أم دفقة من ضياء ؟
خلق الحسن والقى النيران في أحشائي
لاذى الله مبدع الاحياء
شاعر ، طيع الهوى ، ذو اباء
غسل الدمع اثمها في البكاء
في ضلوعي كومضة الكهرباء
واشاع الفتور في أعضائي
بسر ، حارت به كبريائي

لندن   سعيد العيسى

من « العروة الوثقى »

علي ان أروي قصة برونيللو ، لقد دعوه برونيللو باسم القديس برونو ، الراهب الذي عاش في القرون الوسطى وانشا دير الرهبان الكرتوزيين في فرنسا ثم مات في اقليم كالابريا ، في سيرا سان برونو حيث يوجد الان احد اديارة . يبلغ برونيللو من عمره ستة عشر عاما ، وقد ولد في (ايسكا على اليونيو) . وحين كانت امه فتاة لم تكن تحب ان تعرف شيئا عن والده . ولكن حدث انها وهي خارجة من الكنيسة في يوم عيد تقدم منها ذلك الشاب ورفع الملاءة عن جبينها . لقد كانت تدعى — وما تزال الى الان — « ذات الاصبع » ، لانها في طفولتها كانت تضع احد اصابعها في فمها . لقد رفع اذن ملاءتها عن جبينها . وهكذا لم يعد يمكن لاي شاب ان يتزوج ذات الاصبع لان واحدا قد رفع الملاءة عن جبينها . وعندئذ اقترنت ذات الاصبع بذاك الذي سيصبح والد برونيللو ، وقد حرصت على ان لا تمسه حتى باصبعها . وحينما انتهت مراسيم الزواج وجلس العروسان على كرسيين متحاذيين ليتقبلا التهاني والهدايا ، تنبهت الى ان طرف ثوبها يلامس سراويل ذاك الذي اصبح الان عريسها . فابعدت طرف ثوبها ، واخيرا حينما اصبحا منفردين في غرفتهما كان اول ما عمله العريس ان انال العروس « علقة » جيدة جدا لانها كانت قد رفضت الاقتران به ، وحقرته ، وجعلته ينتظر ويستسلم الى التنهدات سنين طويلة ، وتركته يناجيها ويغني لها الليالي الطوال دون ان تدعه يعرف انها كانت تصغي الى اغانيه من خلف نافذتها .

كان الزوج ضئيل الجسم ، ولذلك كانوا يدعونه (كيكو) — اي حبة القمح — ثم ولد برونيللو ، وهو بعكس ابيه نحيل ، مرتفع القامة ، له عنق فتاة ، ووجه لطيف سريع التهيج ، وعلى شفته العليا ظل خفيف .

ولقرية (ايسكا على اليونيو) شفيع هو القديس مارتسيانو ، وهو شهيد روماني صنعوا له تمثالا يمثله وهو يشد الى صدره نخلة الاستشهاد . ولكن اهل ايسكا يقولون انه انما يشد يده الى صدره دليلا على الوعد اي انه يعد بان يحمي شعبه دائما . واهل كالابريا يثقون بقديسهم ، وحينما لا يبر هؤلاء بوعودهم لهم يتهكمون عليهم كما يتهكمون على غفلات بني البشر العاديين . وهكذا وقع زلزال في ايسكا هدم كل شيء حتى الكنيسة ، غير ان تمثال القديس مارتسيانو ، وجد بين الانقاض

الملاءة على الجبين

للكاتب الايطالي كورادو الفارو

ترجمة عيسى الناعوري

سليما ويده ما تزال على صدره . وقال أهل ايسكا ان ذلك كان غفلة من القديس ، وذهب بعضهم ليقيموا في اكواخ قريبة من القرية المهدمة ليظلوا على مقربة من اراضيهم ، وهاجر اخرون الى الجزر الاخرى المجاورة ، وذهبت ذات الاصبع مع كيكو وبرونيللو الى جزيرة روشيلا .

وظنت ذات الاصبع انهم في المحطة سيخفضون لها ثمن التذاكر ، لانهم كانوا ثلاثة ، وكانوا فقراء ، ولان زوجها ضئيل الجسم ، ثم لان ناظر المحطة لديه مسافرون كثيرون ، وبينهم عدد من الاثرياء ، ولذلك



يكسب مالاكثيرا . ولم يستطع ناظر المحطة ان يشرح لذات الاصبع ما هي السكك الحديدية ، والادارة ، والدولة ، وانه ليس هو صاحب القطار . وقال لها انه لا يستطيع ان يخفض السعر ، ولكن جميع ناظري المحطات التالية سيطلبون منها سعر اقل مما يطلبه هو .

فسارت ذات الاصبع وكيكو وبرونيللو مسافة اثني عشر كيلو مترا على اقدامهم حتى بلغوا المحطة التالية ، وقد سروا لان التذكرة هناك كانت فعلا اقل مما في المحطة السابقة .

ووصلوا الى جزيرة روشيلا وبحثوا عن سيدة كانت قد انتقلت الى هناك من ايسكا ، وهي زوجة احد الموظفين ولقد حملوا معهم شيئا ليقدموه هدية لها ، وهو : قرص جبنة طرى مصنوع من حليب النعاج ، وخمس برتقالات . واستقبلتهم السيدة استقبالا حسنا . وخشي كيكو لحظة ان يغرق في مقعد غريب جدا راح يعلو به ويهبط ، بينماكانت ذات الاصبع تصرخ في احدى الغرف لانها ضلت طريقها ، فقدكانت غرف المنزل الخمس كبيرة ، بيضاء ، ذات ابواب متعددة .

ولما كانت السيدة في حاجة الى خادم صغير فقد اخذت برونيللو ، وطبعا دون اجرة ، لان دفع الاجرة يعتبر اهانة له ، كما هي العادة هناك لان المرء يخدم مجانا لمجرد المودة ، او للاعتبار ، او ترقبا ليوم يتقرر فيه مصيره ويحتاج فيه الى مساعدة ممن يخدمه ، ولكن ليس لاجل المال مطلقا ، وهكذا يكون له الحق في ان يستمع الى احاديث اصحاب المنزل وهو واقف على قدميه ، وان يجلس مثلهم حينما يقدمون لهم كرسيا .

وهكذا كنا جلوسا نتحدث ، وكان برونيللو واقفا ، ووجهه الذي تلوح عليه علائم الخجل والطفولة متلفت الى جهة الحائط ، وكنا نذكر المهمات

توق

ليت لي ان امد جناحي !
امامي تنتصب الروابي
وشاحا بعد وشاح !
أمل مني يطير ،
أمل الي يعود . .
مسافات تتباعد امامي
تتراقص كدفقة من نور ،
تلتمع كسراب من أوام !
تمتد يدي ،
يتراءى لها ظل من عطاء ،
فيسحبها الى قلبي
خجل من قناعة وارتواء ،
ويبقى في عيني ظل عنيد
من يد تعتصر قلبا ،
وقلب ينشد حبا !
وفي حلم بعيد
تتجسد الصحراء واحة ،
وتنسج الواحة الف حلم
من سر حريص قديم وجديد !

حبذا لو آكون
ريشة في جناح يطير !
مسافة من لا محدود
يتخطى ويسير !
يدا تهب العطاء
الى قلب يذوب فيه الفناء !
وعينا عميقةالنظر
تغرب فيها صور اثر صور !
ليتني اكون
ذكرى صحراء في واحة ،
حلم واحة في صحراء ،
أحمل معي كل معنى
من بقاء وفناء !

حلب **توفيق اليازجي**

التي يؤديها ، لان برونيللو حينما علم ان تلك الاسرة المؤلفة من الزوج والزوجة واربعة ابناء لايكفيها الراتب الذي يناله الزوج ، قال ان من العيب ان يكون المرء موظفا مثل هذا يرتدي مثل ثيابهاللامعة ذات الازرار والتي عليها عجلة وجناحان ثم لاينال راتبا يكفي لشراء الكتب لابنه الطالب والملابس لطفلاتهاللواتي كبرن واصبحت وجوههن ناصعة البياض ، واللواتي كان الكدر البادي تحت عيونهن الذاهلة التي لاتعبير فيها يبدو اشبه بمكان اللمس من دراقة جست لتوها . ولذلك راح يسافر ، ويحمل الزيت والفحم ليبعهما في ريجيو ، ثم يعود بامانه عند الظهر حاملا ما كسبه من نقود ، لينصرف الى المطبخ يطهو الطعام ، ويخدم ويغسل الصحون ، وهو الان يقف على قدميه ، ووجهه نحو الحائط ، بينما تدعوه صاحبة المنزل الى الفناء . لقد كان صوت برونيللو جميلا ، يشوبه شيء من الكدر مع البراءة ، وهو في المساء يغني لطفلة عمرها اربعة عشر عاما ، فلا تلتفت اليه الا لكي تصيح به قائلة : اغرب عن وجهي ايها الخادم فانني لا احبك .

فساله : ــ ولكن هل تحبها انت؟

فيقول برونيللو ــ انا لا اريدها ، ولكنني حينما اراها فقط لا اعود اراني انا نفسي ، بل احس بأن شيئا في صدري يؤلمني ، ومع ذلك فانني اعرف ان لها وجها عريضا لايعجبني .

وتقول السيدة : ــ لقد عرضت عليها الزواج ، وعدتها بان تنام هي على السرير بينما ترقد انت على الارض ، اليس حقا يابرونيللو ؟

فيجيب برونيللو ووجهه الى الحائط لانعينيه منتفختان بالدموع : « هذا صحيح » .

ــ ارو للسيد كيف طلبت منك الفتاة مئة ليرة فأعطيتها اياها ، ولكنها لم تلبث ان شتمتك ، ثم عدت في اليوم التالي فجئتها بالحلوى من ريجيو . انه ينفق نقوده القليلة ليحمل اليها الحلوى . اليس كذلك يا برونيللو ؟

فيجيب وهو يمخط انفه المتورم: صحيح : ولكنني لم اعد اريدها ، لا اريدها بعد الان ، بشرط ان لا اراها .

فأقول له : وهي تحتقرك ، وتأخذ النقود والحلوى منك ؟

فيجيب : ــ نعم ، انها تأخذها وانت تعطيها اياها ؟

فيجيب وهو يضغط وجهه الاحمر بين راحتيه : ــ نعم ، اعطيها اياها ، ولكنني سأهرب !!

فأقول له : ــ برونيللو هل تحب ان تأتي معي ؟ سنسافر في هذا المساء .

فيلتفت نحوي بهيأته الهزيلة ، منتصبا على فردتي الحذاء الممزقتين اللتين تعلم ، داميا باكيا ، ان يحملهما بقدميه الحافيتين منذالطفوله في القريه ، ثم يقول :

ــ نعم سنسافر .

فتقول السيدة : ــ لاتقولوا له ذلك، لاتخدعوه ، يابرونيللو ، سيأخذك من عندنا حينما تكبر ، اليس كذلك ؟

فيقول : حسنا سأنتظر

وتتابع السيدة كلامها : لانه فتى ضائع ههنا . انه لطيف ، ذكي ، سريع الفهم . لم ير قط شيئا ، ولكنه يمضي في الاقليم كله دون ان يضل طريقه ، ودون ان يتمكن احد من خداعه .

واقول انا ، برونيللو ! وماذا تريد ان تفعل متى جئت معي ؟

فيجيب : ــ اريد ان اصبح رجلا ، يكفي ان تدلوني ماذا افعل .

ــ ثم تعود بعد ذلك الى هنا لتتزوج فتاتك ؟

ــ نعم ، ولكن لكي اضربها فقط لانها اذلتني .

لقد كان برونيللو كالكثيرين من اهل كالابريا الذين هاموا وما زالوا يهيمون في العالم كله وفي صميم كل منهم حس اهانة . وما ان يضع الواحد منهم اول حذاء في قدميه الحرتين الحافيتين ، حتى يمضي في الدنيا داميا متألما ، ثم يعود يوما فيجد نفسه ما يزال ذلك الفتى الذي وصمت حياته بتلك الملاءة الممزقة على جبين الحبيبة التي اهانته .

عمان **عيسى الناعوري**

كلمة عن الفـوكلور

بقلم مبارك ابراهيم

* * *

« الفوكلور » أو « المـأثورات الشـعبية » هي دراسة الخرافات والاساطير . وكذلك معرفة العادات والتقاليد والامثال لدى شعب من الشعوب ..

وقد ولدت كلمة « فوكلور » عام ١٨٤٦ يوم صاغها لاول مرة الصحفي وـجـتوماس » صاحب صحيفة « الاتينيوم » التي كانت تصدر في لندن ..

اما « الفوكلورست » فهو الخبير العارف بهذه المسائل بمقدار قل أو كثر ..

ومن أبرع من كتبوا في موضوعات « الفوكلور » عالم التاريخ الطبيعي للاجناس البشرية«جيمس جورج فريزر» (المولود في جلاسجو عام ١٨٥٤ والمتوفي عام ١٩٤١ . والذي تلقى علومه في جامعتي جلاسجو وكامبردج . وعمل استاذا لعلم الاجناس البشرية الاجتماعي بجامعة ليفربـول) ..

وكتابه « الغصن الذهبي » هو خير كتبه واعظمها شأنا . وهو كتاب ضمنه دراسات عن طقوس العبادات . وعن الاساطير والخرافات . وما اليها . كما ضمنه أبحاثا عن أصولها وعن أهميتها من حيث التطور التاريخي .. وقد نشر كتابه هذا اول مرة في عام ١٨٩٠ ثم راجعه واعاد طبعه في عام ١٩٠٠ ثم عاد فنقحه وزاد فيه زيادة كبرى حتى بلغ اثني عشر مجلدا في عام ١٩١٥ ، ثم اقتبس منه كتابا موجزا في مجلد واحد .. وللمؤلف كتب اخرى تشمل دراسات في العادات والمعتقدات واللغات لدى الشعوب غير المتحضرة ، كما تشمل دراسات في « الطوطمية » وفي الزواج من غير العشيرة . كما تشمل كذلك دراسات في فكرة الخلود ، وفي عبادة الموتى . وفي الفوكلور في أسفار العهد القديم . وفيما يدور حول أصل النار من خرافات . وكذلك في الخوف من الموتى في الديانات البدائية ..

ونحن مكتفون في هذا المقال بالحديث عن الفوكلور والقصص الاسطوري ..

« الفوكلور » والقصص الاسطوري

ان قصة « سندريلا » مثلا وما يشابهها من قصص الاساطير قد كانت تفتن ألباب الاطفال والفلاحين يوم كان ينظر اليها أول الامر بوصفها أقاصيص تبعث على التسلية حتى جاء الاخوان « جريم » ومن تلاهما من العلماء فأزاحوا الستار وكشفوا الغطاء عن أرض الجن التي يبدأ تاريخها مع تاريخ اليوم الاول لوجود الجنس البشري .. ونحن قائلون كلمة نقدم بها قصة«سندريللا» ثم نتلوها بكلمة نعرف بها العالمين الاخوين جريم ..

وكلمة « سندريللا » معناها فتاة الرماد الصغيرة . وهي بطل قصة من قصص الاساطير .. ومن المحتمل أن هذه القصة تمت الى أصل شرقي .. وهي قد ظهرت في الاداب الجرمانية في القرن الثامن عشر ..

و « سندريللا » ـ كما تصورها الاسطورة ـ خادمة تؤدي اعمال البيت الشاقة . وهي تبدو في ثوب خلق . وعليها أمارات القذارة بينما تستمتع أخواتها اللائييكبرنها بارتداء الملابس الانيقة وبارتياد المراقص البهجة ..

وأخيرا تجيء احدى بنات الجن فتمكنها من أن تغدو الى مرقص يشهده أمير من الامراء . ثم يغرم الامير « بسندريللا .. ثم يستدل عليها فيما بعد بنعل من فراء أبيض ـ وكانت تلك النعل لا تصلح الا لقدمي سندريللا ـ وكانت النعال « المصنوعة » من الفراء لا ينتعلها الا بنات بيت الملك .

فكأن الجنية قد ألبست فتاتها المحببة المفضلة نعلا من تلك النعال الملوكة .. اما الاخوان «جريم» فهما «جاكوب جريم » ١٧٨٥ ـ ١٨٦٣ واخوه « ولهلم جريم » ١٧٨٦ـ ١٨٥٩ . وكانا من البارعين في اللغات وفلسفاتها . وكانا فوق ذلك من علماء الاساطير ..

واشهر مؤلفات « جاكوب » كتابه المسمى (دوتش جراماتيك) والعارفون يعدون كتابه هذا الاساس الذي بني عليه القانون اللغوي المسمى بقانون « جريم » ـ الذي أعلن في عام ١٨٢٢ ـ ومنه يتبين أن الحروف الساكنة تتبدل في اللغات الارية الرئيسية فحرف (ب) فياللغات الاغريقية واللاتينية والسنسكرتية يصبح (ف) في اللغة التيوتونية . ويصبح (ب) أو (ف) في اللغة الجرمانية القديمة الراقية ..

وحرف (ت) في اللغـات الاغريقية واللاتينية والسنسكرتية يصبح (ذ) في اللغة التيوتونية . ويصبح (د) في اللغة الجرمانية القديمة الراقية .

وكذلك يتبدل حرف ب الى حرف ف الى حرف ذ فكلمة « باتر » تصبح « فاذر » .

هذا وقد اثبتت دراسات علم الاساطير المقارن ان القصص الاسطورية لم تكن قاصرة على اوروبا ، بل هي مبثوثة في أشكال متباينة لدى كل الامم تقريبا .. وكذلك قد اثبتت دراسات علم فقهاللغات المقارن قيام المطابقة والتماثل بصفة اصلية في الاساطير الشائعة لدى الشعوب التيوتونية والسلتية واللاتينية والاغريقية والفارسية والهندية . وهي التي تمثل شعوب الجنس الاري الذي حدد موطنه في غرب وسط آسيا حينا . وفي اوروبا تارة . بل حتى في افريقيا .. ومن تلك البقاع تفرقتتلك الشعوب وانتشرت في هجرات قد سبقت عصور تدوين

التاريخ .. ولقد استدل العلماء على هذا الأمر بتتبعهم ودراساتهم للغات الجرمانية واللاتينية والاغريقية والفارسية ثم للغة السنسكرتية وهي الجدة الكبرى لتلك اللغات وثبت لدى اولئك العلماء ان المطابقة والمماثلة بين تلك اللغات تقوم برهانا على وحدة المصدر وتشابه الارومة ، هذا وان معظم القصص الاسطورية الشائعة يرجع تاريخها الى تلك الايام التي شهدت الانسان الاري البدائي يتناول عشاءه المكون من طعام (الياقا) . ويتخذ شرابه من خمر العسل المخمر .

وايام كان الاقزام من سكان اسكندناوا الاولين هم اصحاب السيادة في اوروبا .. وايام كان الاقوام السمر من شعب (السدرا) يطوفون بانحاء (البنجاب) .. وان استمرار بقاء القصص الاسطورية ومقاومتها لتقلبات الدهور ليرجع الى كونها امتدادات لاصول اولية طالت في غفلة الزمن — والى بقائها متماسكة تماسكا قويا متينا بفضل اولئك الاقوام الاريين غير المتحضرين الذين ظلوا يروونها عفو البديهة . ويتلونها من الذاكرة . وهو ما يتبينه الدارس لتلك الاقاصيص من استمساك الاطفال استمساكا شديدا بدقة التفصيلات عندما يقصون تلك القصص . وكذلك يرجع بقاء تلك القصص الى ما يسمى بقانون الاستمرار الحضاري .. ة

وكل ما اسلفنا من القول يجعل من علم المأثورات الشعبية او « الفوكلور » علما ممكن الوجود ..

وهناك نظريات عديدة فيما يتعلق باصل القصص الشعبية .. واقدم تلك النظريات هي النظرية الشرقية التي تقول بأن تلك القصص تستمد أصولها من « الفيدا » وهي الاسفار المقدسة للبوذية والتي قد يرجع تاريخها الى عام ٢٠٠٠ قبل ميلاد المسيح .

ومن الثابت حقا ان اصول معظم تلك القصص يمكن تلمسها في اسفار « الفيدا » . ولكن الادلة على ان تلك القصص مصدرها هندي بحت ادلة يعوزها الاثبات .

ثم ان اكتشاف قصص في مصر كتبت في عصر الامبراطورية القديمة ليقدم اعتراضا على قبول النظرية السابقة . ولا عبرة بان تلك القصص قد ذاعت وشاعت في استراليا ونيوزيلنده وامريكا ..

وهناك النظرية الآرية . وهي النظرية التي يساندها « ماكس مللر » كما يساندها « جريم » . وعلماء اخرون .. وهذه النظرية ترجع باصل تلك القصص الى محاولة تفسير الظواهر الطبيعية كالشمس وهي تجري لمستقر لها . وكأختلاف الليل والنهار . وكطلوع الفجر . وكتعاقب الشتاء والصيف .

ويدعم هذا الرأي ان اسماء الاعلام في الاساطير هي في الاصل اسماء ظواهر طبيعية .. والقصص الاسطورية تبدو حينا وكأن فيما بينها شبه قريب . وكأنها قد صدرت من منبع واحد . وتبدو احيانا وكأن فيما بينها اختلاف كبير يوحي بأنها لم تعرف من قبل صلاة القربى القريبة ولا رابطة من روابط الرحم الماسة .

ويقول « ماكس مللر » ان قصص الاطفال هي بصفة عامة آخر الاشياء التي يمكن ان تقتبسها امة من امة اخرى ..

وبعد فهناك نظرية اخرى ترجع بأصل المأثورات الشعبية الى مصدر ابعد من المصدر الآري ... وتلك النظرية تعود بتلك المأثورات الى عادات وتقاليد الانسان لاول عهده بالوجود ومن ثم غلت قيمة الاساطير وعلا قدرها لدى العالمين بتاريخ الاجناس البشرية وكذلك لدى العالمين بالاساطير .. ولكن العلماء المحدثين من اولي الرأي يعلنون القول بان مما لا فائدة منه ان نطيل البحث لنعثر على اصل مشترك للقصص الاسطورية ..

والقصص الاسطورية الشائعة قد وصلت الينا — في الاغلب الاعم — عن طريق المشافهة . وان كان القليل منها قد وصل الينا بطريق التدوين في مجموعات متعاقبة ضمنتها اسفار (الفيدا) . وهي الكتب السنسكرتية المقدسة . ثم اسفار زرادشت (الزندافستا) الفارسية . ثم (الجاتاكا) الهندية وهو اسم يطلق على مجموعة من الاساطير حول مولد (بوذا) — وقد عرفت هذه القصص في حوالي القرن الخامس الميلادي — ثم (البان كاتانترا) وهي مجموعة حكايات خرافية هندية ظهرت فيما قبل عام ٥٥٠ من الميلاد . وقد ترجمت هذه المجموعة في حينها الى الفهلوية . ثم نقلت الى العبرية قبل القرن العاشر . ثم الى الفارسية في حوالي عام ١١٠٠ وكانت قد نقلت الى الاغريقية في القرن الحادي عشر . ثم تتابع النقل الى عدة لغات اوروبية .

واول مجموعة من قصص الاساطير الاوروبية نشرت في مدينة البندقية في عام ١٥٥٠ وقد ترجمت هذه القصص الى الفرنسية . وقد تكون هي الاصل كما يسمى في فرنسا بقصص الجنيات . ثم ظهرت في مدينة (نابولي) في ايطاليا مجموعة من تلك القصص عام ١٦٣٧ ..

وفي عام ١٦٩٦ ظهرت مجلة اسمها (البنتاميرون) اي « الايام الخمسة » فنشرت قصة « الحسناء في الغابة المغفية (لا بل او بوا دورمان) .

وفي عام ١٦٩٧ ظهرت سبع قصص اخرى . ثم جمعت هذه القصص كلها . ونشرت تحت عنوان « اساطير من الماضي مع الاشارة الى المغزى الادبي المقصود منها » .

وهذه القصص الاسطورية قد اصبحت — على مر الزمن — جزءا من الآداب العالمية .. وقد عملت تحقيقات « جاكوب » و « وليم جريم » ومن تبعهم من العاملين في هذا الميدان على تحويل قصص سائر الامم الى قصص مدونة .. وكانت طريقتهم في ذلك ان يقوموا بتدوين القصص وهم يسمعونها تتلى من عامة الشعب . وفي

لبنـان

لبنـان يا مهـد الجمـال   وملاذ عشـاق الخيـال

يـا زينة الدنيـا ، ويـا برهـان قدرة ذي الجـلا
لك فـي الفـؤاد هوى يتيـم لا يصـير الـى زوال !!
أيقظـت بـي حـب الحيـاة ، وحـب اوطانـي وآلـي
وجعلتنـي انسـى لعمـري ، سـوء اوضاعـي وحالـي
وشغلتنـي بالرغـم منـي ، عـن سقـامي واعتلالـي
ومحـوت مـن قلبـي الاسـى ، محـو الاشعـة للظـلال
فطفقـت ارتشـف الهنـا ، وأعـل مـن صفـو الليالـي
وكانـنـي اذ جئـت ربعـك قـد وصلـت الـى المحال
المـوج يرقـص عـن يمينـي ... والازاهـر عـن شمـالي
والريـح تعبـث بالغصـون فتتقيهـا فـي دلال
والغيـد ينشـدن الاغـاني دونمـا خفـر حيالـي
واكفهـن بخفـة تنسـاب فـي المـاء الـزلال
وعيونهـن تبـث مـا يخفـين مـن داء عضـال ...
ورؤى الصبـاح الحلـو تغمرنـي بموجـات انفعـال ...
وتحـرر الـروح الكئيبـة مـن اداهمهـا الثقـال
وتطيـر بـي فـوق الثرى مـن غـير وهـن او كـلال
فارى بعينـي الحيـاة وبسمـة فـي ثغرهـا لـي
وأود ان لا استفيـق مـدى الحيـاة مـن انذهـالي
او اننـي افنـى هنـاك فلا احـس ولا ابالـي
وكانمـا قـد أطلقـت اهـواء نفسـي مـن عقـال !
لبنـان ... يا بلـدا تولـى فـي الـورى عرش الكمال
كـم ذا يشـق علـي انـي قـد عزمـت علـى ارتحال
أتـرى اعـود غـدا اليـك وخافقـي جـذلان خـال
انا لسـت ـ مهمـا بنـت ـ عنـك طـوال ايامـي بسـال
لو كـان حبيـك الضـلال ، لمـا رغبـت عـن الضـلال

طولكرم ـ الاردن   عبد الرحمن سالم

الاعم الاغلب من النساء العجائز . وهـن المحتفظـات دائما بمثل تلك القصص في صورتها غير المصقولة .. ذلك لان الابقاء على الحالة التي رويت بها القصة قد يكون فيه ابقاء على عادة او اسطورة قديمة لها دلالاتها التاريخية . وذلك ايضا لان الشكل المحلي يكون دائما ذا فائدة للعلمـاء الدارسين لاصول السلالات البشرية ..

واننا لنجد قصصا اسطورية كان موطنها جنوب الكـرة الارضية قد تغيرت صورتها يوم انتقلت الـى بلاد الشمال وذلك بحكم تبدل الاحوال الجغرافية ..

ونحن لو جئنا بكل القصص الاسطورية المعروفة في بلاد الشرق والمنتشرة الان في البلاد الاوروبية واضفنا اليها قصص الشعوب غير المتحضرة في اسيا وافريقية وامريكا وبولينيزيا لوجدنا دما واحدا يجري في عروقها كلها مع اختلاف يقل او يكثر في الشكل او في الصورة ولتبينا في هذه الاقاصيص الحلقات التي تربط بينها وبين تلـك المجموعات من القصص الشرقية .

هذا والملاحظ ان هناك خاصية قد تميزت بها كـل قصة من قصص الاساطير في كل زاوية من زوايا العالم وفي كل ركن من اركانه وهي ان كل قصة من تلك القصص تدور موضوعاتها حول « الغادة المليحة الفتانة التي غصبها الغاصبون » كما تدور حول الكفاح الطويل المرير لاستعادة تلك المليحة الحسناء وردها ..

القاهرة   مبارك ابراهيم

الاديب المغمور فريد الابيض الحداد

بقلم نسيم نصر

* * *



لا يكون بين الادباء الذين يجب ان يتناولهم التعريف بالاديب وادبه من هو اجدر بالتناول المخلص من فريد أبراهيم الابيض الحداد (١٩٠٤ – ١٩٥٨) . اما لماذا هذه الجدارة بالتنويه التي يستحقها فريدنا هذا؟ فذلك لتفرده باستخفاء ندر ان احاط اديب اخر نفسه بمثله . وكانت معرفتي بهذا الانسان الطيب اكتشافا لشخصية فيها كثير من المواهب المبدعة ، ولكنها مواهب كانت تعمل في ظل من مركبات نقص نبت بصاحبها عن المجتمع ، نبوة فيها مدرار من العطاء خلف براقع من الاسماء المستعارة .

عرفته في حمص ، منذ ثلث قرن ، وهو في حدود الثلاثين ، قصير القامة غير نحيل الجسم ، اسمر اللون ، اصلع الرأس ، في عينيه السوداوين شعاع من الذكاء يلهي جليسه عن كل ما فيه ، ليصوب الانتباه الى سعة في المعرفة ورغبة في العطاء تتخللهما نكتة جاحظية .

عرفته صحفيا يجيد المقال الافتتاحي ويحسن التعليق الغامز المرن ، ويبتدع المؤالفة بين الادب والصحافة ابتداعا فيه من خفة الظل بقدر ما فيه من زخم الفكر .

صحفي من الطليعة ، زامل في دمشق، ابان التململ السوري باعباء الانتداب الفرنسي ، كبار الصحفيين من الرعيل القوي الشكيمة الجريء الكلمة .

وبعد الحرب العالمية الثانية سكن بيروت وجعل من الصحافة مهنة له ومورد رزق ، فكانت جريدة الزمان البيروتية مراد قلمه : تحريرا وتصحيحا ، رافقهما ، في فترات فراغه ، نتاج شعري قيم .

ثم عمل في جريدة السياسة مرافقا خطواتهاالاولى بمعرفته واخلاصه . ولم يطل عمره فيها اذ وافاهالاجل ، وهو جالس الى مكتبه ، يتعهد حروفها بسلامة لغته . فقضى مأسوفا على ادبه الرفيع وكفاءته الصحفية الممتازة، في اوائل صيف ١٩٥٨ .

وعرفته مترجما حاذقا يوم كانت الاوامر والنواهي والنصوص القانونية تصدر عن المفوضيات السامية باللغة الفرنسية .

وعرفته خطاطا لو احترف كتابة الخطوط العربية ، على انواعها واشكالها ، فنا وعملا ، لا هواية مكتومة لا تطلب اجرا ، لكان له فيها شأن ورزق .

وعرفته شاعرا تعانقت على أسلة يراعته الفصاحة العربية المتسلسلة من اصفى منابعها ، والبلاغة المولدة في اقوى معطياتها ومراميها . ولكن اين هذا الشعر ؟ ولم لم يعرف به قبل اليوم ؟ عفوا ، الم اسم معرفتي به اكتشافا لشخصية فيها كثير من المواهب المبدعة ؟ فاسمعه يعاتب شاعرا متكتما ، ولكن اقل من تكتمه الفريد :

عاتب الحسن اذا الحسن استتر   ولم الزهر توارى في الخمر
نثر الفجر على اكمامه   دمعه فانعقد الدمع درر
وكساه مخملا من تبره   وازارا من شعاع فاتزر
لا لكي ينساح في عزلته   ثم يفنى ، وهو مجهول الاثر

الى ان يقول مخاطبا الشاعر المتستر، وكأنه به يخاطب نفسه :

أيهذا الشاعر الشادي على   غفوة الظل بحضن المنحدر
في يديه للغنا قيثارة   هبط الوحي عليها واستقر
اغفل العزف على اوتارها   فاكتست بالترب وانحل الوتر
كلما عاد اليها لاهيا   نفث الروح انينا فسحر
فترى الليل ، على سكرته   شارد الخطوة بالفجر عثر
وترى الفجر ، وقد هب على   هلع ... والشاعر الملهم فر .

ثم اسمعه يوصي بوصف الغاب فيقول ، وكأنه المكلف بذلك الوصف :

صف لنا الغاب عفت اظلاله   والخريف انحط من كف القدر
اسرج الريح مطايا واستوى   فوق متن الريح يعشو بالشجر
ناثرا فوق الثرى اوراقها   هاصرا اغصانها في ما هصر
لهف الطل على مضجعه   بدل المخضل منه بالمدر
لهف النور على مرقصه   في غصون عريت مما نثر
لا وشاح الشفق القاني اذا   طاف يلقى في تعريها مقر
لا ولا عاد الدجى يغفو على   همسها الواني ولا يصحو السحر

وهذه مختارات من قصيدة موضوعها «البلبل» وهي واحدة من بضع قصائد ، نعم بجوائز سباقها الادبي غير الشاعر الذي لزم استخفاءه حتى في ابرز مناسبات الشهرة وهي الفوز في مسابقات شملت الاقطار العربية كلها .

قال الشاعر الفريد، في مباراة موضوعها : «البلبل» . وهي احدى القصائد التي نالبها غير صاحبها شرف التكريم:

بلبل الروض ما انفردت بدائك   كل حسن شقاؤه كشقائك
انت تبدو حر الجناح طليقا   ان كف الاقدار خلف سمائك
خلقت في لهاتك الشدو قيدا   وقيود الطباع ليست سبائك
ذاك سر الحياة تمنحك الحسن   وتأبى ان ينزوي بانزوائك
ملهم انت تنشر اللحن سحرا   في فضاها وتنطوي في فضائك
نفض الصبح ثوبه فتدلت   خصل النور فوق خضر الارائك
فانفض الطل عن جمالك واصدح   ما لشاد في الروض عذب غنائك !
انت تعطي الجمال ، وهو ملح ،   أي ذات تفنى به كفنائك ؟
ذاك ثغر الحياة يزهو رواء   كلما عب من شحوب ضيائك
يظمأ الحسن للشراب فتروى   ظمأ الحسن من بقايا دمائك
قيمة الفن ان يزيد ضياء   كلما شح زيته في انائك

الى ان يقول :

يا أسيرا جنى الجمال عليه   أي سجن ينال من لالائك ؟
قفص ضيق الفضاء كئيب   هل تحد القضبان من اجوائك
نزعة الروح لا تهي لحدود   فرضتها الاوضاع مع نظرائك

يا اليفا لم يعرف السجن اندى ... منك ظلا ولا وفا كوفائك
تطرب الاسر الاثيم فيسمو ... صفحك السمح عن ثرى بغضائك
هو في روضة الفناء يعب الفن ... عبا ، واني في صحرائك
ان صفح المظلوم مثلك اسمى ... ما وعته الحياة من آلائك
ذاك عيش الموهوب يخلق فنا ... من أساه وينطفي كانطفائك

وينتهي الى قوله :

ذاك طبع الجمال سمح نبيل ... ليت لابن الحياة نبل سخائك

ولما كان شاعرنا بلبلا بشريا ، قضى عمره في قفص حاكه من قضبان عزلة فرضها على ذاته ، كان لا بد له من ان يفلسف الحياة على السنة بلابل الطير . ولقد كان له، في ما عرفت ، بضع قصائد في مختلف من متناولات حكم الحياة على السنة رمزية .

وهذه ابيات من قصيدة بعث بها الى صديق له صياد عرف انه أسر ، في قفص ، بلبلا جريحا :

قانص البلبل في لهو الفرص ... رب قناص لها في ما قنص
انت تدر وطأة النير على ... عنق الحر تنزى ام رقص
رقصة المكبول في اغلاله ... كبر يخفي به مر الغصص
اطلق الصداح من محبسه ... ما يطيق الحر حرا في قفص

ومضى يخاطب البلبل السجين قائلا :

يا مهيض الجانح الثاوي على ... مضض الاسر وتبريح السقم
ساقك الحسن الى القيد وكم ... عبثت بالحسن ، للحسن ، الذمم
انت اشقى من تلظى فبكى ... مصرع الحق بكفي من ظلم
غن للاحرار في اغلالهم ... اطرب الالحان الحان الالم

قل لهم : هذا دمي في جانحي ... نضحته دون حقي كبدي
يغسل الجرح تنزى دمه ، ... في مجال القود ، صخب الزرد
كان لي امس طروب وانقضى ... وانا من حاضري او من غدي
بلبل ابعث في اللحن اسى ... كلما مرت على جرحي يدي

واود في هذا الحديث العابر، ان الم بموهبة اخرى من مواهب هذا الاديب المجهول ، وهي انه كان شاعراً زجليا فريداً جلى في سباق زجلي كما كان يجلى في مسابقات الشعر باللغة الفصحى . وهذه زجلية جلى بها في وصف وادي العرايش على ضفاف البردوني ، قال :

ارضك ياوادي الحسن، شط مزارها ... مهما الفراخ تشردت ما بظنها
مهما الهزار شط المزار ولوعو ... وادي العرايش،والشعر مهدو ومربعو
وادي العرايش مربعو، وعشبو النضير ... والبان تاكي عالنهر هزو الخرير
والبان تاكي ، والبراعم حالمي ... والنسيم بيبوح لكن تمتمي
والنسيم ملتاع ، والصبح الحزين ... عالورد عالفل النقي ، عالياسمين
عالورد خلى من العناق حمرة خجل ... وعالنهر دلى من غزل نورو خصل
وعالنهر اغصان العريش عقدت قبب ... صانت دموعها في عناقيد العنب
صانت دموعها خمر حتى يجرعو ... عني وبقي في خاطري تذكارها
تنسى الطفولي والهوى وأوكارها ... بيبقى حنينو للغدير في موضعو
بظلو البلابل ريشت زغبارها ... ناعم فرش للظل ـ تايفني ـ حرير
وعقدت غصونو بالعناق حوارها ... بالفي احلام الهوى ومتنعمي
بالهوى ... وبيفض عنها زرارها ... عاشق ... دموعو رشها شمال ويمين
عالزنابق والعفاف ايزارها ... عالفل والزنبق ترك لون الامل
رقصت عفضة ميتو بشرارها ... زمرد طري مخضر محموا و ذهب
وتقطرت خمر بيمين عصارها ... كل شاعر ذاب قلبو بمدمعو
لولا عصيرك يا دوالي ، ومنبعو ... ما استنزفت كف الوحي ابكارها
لولا عصيرك يا دوالي ، ما عصر ... شاعر «بساط الريح» قلبو على الوتر
ولا نقلت الدنيا الاقلام من وحيك درر ... للشعر ، شعت في الدني انوارها
ولا نقلت الدنيا عن الوادي الجميل ... سحر القوافي مرصعة بتبر الاصيل
محلاك للمصطاف ، يا وادي، مقيل ... بتنسيه همو والدني واكدارها
محلاك والحور بظلالك واردي ... عالمي ... نفرت من كنايس شاردة
ساحرة بصدور بضه ناهدة ... بس ارخت للفضينة خمارها
ساحرة وبجفونها نقلت سلاح ... وين ما رمت لفتاتها بتترك جراح
بتحتار من اي نبع بتغب راح ... من عيونها او من عصير خمارها
تحتار عينك وين ما طاف البصر ... عا اي حسن تفط تا تشبع نظر
جنة الفردوس خفيت عالبشر ... حورها وولدانها وانهارها
جنة الفردوس قالوا بالسما ... ربك حباها بالجمال وغنما
لمن خلقها حب انو يقسما ... واعطى لزحله مثال عن اسرارها .

نسيم نصر

الى بعضها الجليدي

●

المطر البيتي . السقفنا
أمحله ينضج فينا الثمر ؟
جسمك ما ضج ... انا الافهم
الجسم النسائي البه الف سر !
اقبية السماء في صدرك
الينبيع ما بها الشراب المسر
وانت يا المضيء .. تعودين لي
التراب فجا ام لذيذ الخدر ؟
احار : بعدان انا ... ليس لي
عمق ، وظلي الكان .. قحطا يمر ؟
الصيف مسفوح علينا صور
ملونات بجمال الصور
وفي خوابي ذكرياتي الطلا
وفي دروبي الحالمات الزهر
وانت لي . احب ، يا انت لي،
رخام سر الله فيك اختمر
مجنونة .. عاقلة .. عريت
انثاي ؟ انثاي وراء الفكر !

من حجر العينين ، من رجة
النهدين ، ابني كوخي المنتظر ...

حلب ... **علي الزيبق**

اسماعيل صبري

بقلم الدكتور ميشال جحا

* * *

اسماعيل صبري شاعر مقل لم يأخذ الشعر حرفة له، وانما كان يقوله متى جاشت به قريحته، قصير النفس اغلب شعره مقطعات لا يتجاوز بعضها البيتين عدا.

والى ذلك يشير حافظ ابراهيم في رثائه له حيث يقول (١):

يغوص فيرخص در النحور	ويغلي جمان بنات الفكر
يسوق القصار فيابى العثار	وكم من مطيل ممل عثر
قصار وحسب النهى انها	لها معجزات قصار السور

وديوان صبري صغير الحجم اذا ما قيس بدواوين حافظ وشوقي ومطران، وشعره في بعضه شعر مناسبات يتكلف فيه الجناس والتورية ويعيد مجد حساب الجمل، وهو في شعره هذا لا يخرج عن كونه مقلدا يروض القول على سنة من سبقه من الشعراء.

غير ان صبري يمتاز بخفة الروح ورقة الحس وامتياز الطبع وحدة المزاج وحسن الذوق. وهو فوق ذلك شاعرا انيق مترف.

نشأ نشأة ارسطقراطية وعاش عيشة مترفة فعبر عنها في شعره احسن تعبير. غير ان هذا لا يعني انه عاش بعيدا عن شؤون الناس فلم يتألم لالم الشعب ولم يحس لاحساسه. بل هو يتجاوب مع الاحداث السياسية ويعبر عن رغبة الشعب ولم يحس لاحساسه. بل هو يتجاوب مع الاحداث السياسية ويعبر عن رغبة الشعب ويدافع عن استقلال وطنه وحرية شعبه وذلك ظاهر في قصائده (استنهاض الامة المصرية) (٢) و(حث الامة المصرية) (٣) وفيها يفاخر بما بناه الفراعنة من خالدالبنيان:

جاءت اليها وفود الارض قاطبة	تسعىاشتياقا الىما خلد الفاني
فصغرت كل موجود ضخامتها	وغض بنيانها من كل بنيان

وكذلك في (نداء الاقباط)(٤) و (رثاء محمد عبده)(٥) و(رثاء مصطفى كامل)(٦) وصبري شاعر محكك يختار اللفظ العذب، السهل الذي يحلو وقعه في السمع، والمعنى الجيد الرائع وهو القائل:

شعر الفتىعرضه الثاني فاحربه	ألا يشوه بالاقذار والوضر
فانقد كلامك قبل الناقدين تحط	ثاني النفيسين من لغو ومن هذر

لهذ تراه حريصا على شعره ينتقي لفظه ويختار موسيقاه ويهذب معانيه، جوهري ماهر خبير بصرف الكلام. وهو معجب بالبحتري متأثر به ينسج على منواله في انتقاء اللفظ واحكام الصناعة واختيار النغم.

يرى أنطون الجميل(٧) ان مقطوعات صبري تدور على فكر ثلاث كانت العلة الموجدة لها. هي: الحس، والحكمة والحماسة. تجلت الفكرة الاولى فيما نظمه في الحب، والثانية فيما نظمه في الموت، والثالثة فيما نظمه في الوطن.

الحب والموت والوطن هذه هي العوامل الثلاثة التي كانت تحرك فيه الشعور، وتنطقه بالحكمة وتثير في صدره الحماسة. غير ان الصفة الغالبة في شعره هي الغنائية. فهو شاعر غنائي رقيق الحواشي.

يتحدث خليل مطران عن كيفية نظم صبري للشعر فيقول: « اكثر ما ينظم فلخاطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها او خبر ذي بال يسمعه او كتاب يطالعه. ولما كان لا ينظم للشهرة بل لمجاراة نفسه على ما تدعوه اليه فالغالب في امره انه يقول الشعر متمشيا وربما قاله في حضرة صديق وهو مائل عنه بعنقه ولـه بين حين وحين انة بمثل ما تنطق لفظة « ايه »مستطيلة. ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة الى اربعة الى ستة وقلما يزيد على هذا القدر الا حيث يقصد قصيدة وهو نادر.

شديد النقد بشعره كثير التعديل والتحويل فيه حتى اذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة وفصاحة الاسلوب اهمله ثم نسيه. وهكذا يمر به الان بعد الان فيجيش في صدره الشعر فيرسل بيتيه اطلاق زوجي الطائر فيذهبان في الفضاء ضاربين في اشطرهما باجنحة ملتمعة شادين على توقيع العروض الى ان يتواريا وينقطع نغمهما من عالم النسيان ذلك هو الشعر للشعر ».

ويذكر محمد صبري(٩) ان اسماعيل رحمة الله عليه كان في جمع حركاته وسكناته مثالا عاليا للذوق يتأنق فيها من غير كلفة وتصنع كما يتأنق الربيع في الباس الارض حلة عروس.

غير ان ذوق صبري الذي زاد صقلا وروتقا مع طول المران يتجلى في شعر كهولته. وهذا شعر خالد قد ذاع الكثير منه على كل لسان، ومن يتأمل فيه ير دقة الصنع وصفاء الطبع وسمو الخيال.

قلنا ان صبري يمتاز بشعره الغنائي، فهو رومنتيكي

---

(١) حافظ ابراهيم – الديوان ٢ : ٢.٩ (٢) الديوان ص. ١٦٩ (٣) الديوان ص. ١٧٢ (٤) الديوان ص. ١٨٠ (٥) الديوان ص. ٢،٧ (٦) الديوان ص ٢١٣ (٧) الجميل انطون، ديوان صبري ص. ٢٠ (٨) مطران خليل اسماعيل صبري تاليف محمد صبري ص. ٢٩ – ٣٠ (٩) صبري، محمد – اسماعيل صبري ص. ٢٤ (١٠) الديوان – ص. ١.٧ (١١) الديوان ص. ١١٩ (١٢) الديوان ص. ١١٦ (١٣)الديوان ص. ١١٢ (١٤) العقاد،عباس محمود، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ٣٤.

يصور احاسيسه ولواعج قلبه . ومن شعره الغزلي هذا قصيدته (لواء الحسن (١٠)) التي يقول فيها :

يا لواء الحسن احزاب الهوى   ايقظوا الفتنة في ظل اللواء

ثم يطلب من فتاته ان تعدل بين المحبين فالحسن يجب ان يكون للجميع !

اقبلي نستقبل الدنيا وما   ضمنته من معدات الهناء
واسفري ـ تلك حلى ما خلقت   لتواري بلثام او خباء
واخطري بين الندامى يحفلوا   ان روضا راح في النادي وجاء
وانطقي ينثر اذا حدثتنا   ناثر الدر علينا ما نشاء
وابسمي ، من كان هذا ثغره   يملأ الدنيا ابتساما وازدهاء
انت روحانية ، لا تدعي   ان هذا الحسن من طين وماء

فيقفز صاحبنا هذه القفزة الرائعة في هذا البيت الاخير الذي تفوح منه روائح الجنة .

هذا ما يبدو لاول وهلة . غير ان المدقق يجد في هذه الابيات ذوقا وكياسة ولكنها خالية من حرارة الحب الصادق .

وقد نشرت هذه القصيدة لاول مرة في (المجلة المصرية) في يونيه سنة ١٩١٠ وهذا ما قاله خليل مطران بهذه المناسبة :

« كانت الغزليات قبل الان فيها ما يمس الاداب العمومية من ذكر القدود والنهود والفم والعناق ورقة الخصر وكثافة الردف ولقد كان هذا من العام حتى قصائد المديح للملوك والامراء وهو ما ترضاه الاذواق في هذه الايام وينكره علينا ادباء الغرب . وقد سئل صاحب السعادة اسماعيل باشا صبري نظم ابيات تنقل الى اللغة الفرنساوية وتجعل في كتاب مؤلف الان في مختار الشعر العربي قديمه وحديثه فجالت قريحته الوقادة بهذه الابيات التي جاءت على الطريقة الصوفية من حيث سمو الخيال ونزاهة الشيمة وغرابة الوضع ولعلها احسن ما جمع فيه بين الاسلوبين العربي والغربي في نظم الشعر » .

فغزل صبري هذا يخلو من الرمان والعناب والتفاح وغصن البان ويخرج بالمرأة من حديقتي النبات والحيوان.

ويقول في (نزيل الفؤاد) (١١) :

لما تبوأ من فؤادي منزلا   وغدا يسلط مقلتيه عليه
ناديته مسترحما من زفرة   افضت باسرار الضمير اليه
رفقا بمنزلك الذي تحتله   يا من يخرب بيته بيديه

وهو يخاطب قلبه قائلا (١٢) :

اقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة   ولا بشافية في رد ما كانا
سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا   حمل الصبابةفاخفق وحدك الانا

فان (فاخفق وحدك الانا) في منتهى الروعة .

وله في (ساعة الوداع)(١٣)مخاطبا قلبه ،هذاالواهي المعذب ، قوله :

اترى انت خاذلي ساعة التو   ديع يا قلب في غد ام نصيري ؟
ويك قل لي متى اراك بجنبي   راضيا عن مكانك المهجور
لست بعض الحداة بل انت بعضي   قف قليلا فلست بالمأجور
ساعة البين ، قطعة انت قدت   للمحبين من عذاب السعير
لا تحييني ، روحي الفداء لماحيـ   ـك غدا من صفحة المقدور

يرى العقاد (١٤) ان اسماعيل صبري شاعر صادق الشعر ناقد بصير بالنقد ، الا انه لا يتعدى في شعره ونقده نطاقا يرسمه له فيزيج من ذوقه القاهري وذوق المدرسة « اللامرتينية » في احسن ما كانت عليه من شعور وتمييز .

شعره لطيف لا تعمل فيه ولكنه غير بصير ولا عارف بالصحة كلها .

واثره في تهذيب الاذواق ونفي ما كان فاشيا من زيف التشبيه وفساد الخيال اثر واضح لا ريب فيه ، ولكنه بعد ذلك اثر محدود بذلك النطاق المرسوم .

وان شئت قل ان ادب الرجل كان ادب « الذوق » ولم يكن ادب النزعات والخوالج ، وادب السكون ولم يكن ادب الحركة والنهوض وادب الاصطلاح الحسن ولم يكن ادب الابتكار المستكشف الجسور .

هذا قول فيه كثير من الصحة ، الا انه ليس فيه كل الصحة . فقول العقاد :

« ان اسماعيل صبري يعبر عن ذوق قاهري » قول لا يقف على رجليه لان الذوق القاهري يمتاز اكثر ما يمتاز ، ببراعة النكتة وحلاوتها وهذا غير موجود في شعر صبري .

وبعد يجب ان لا ننكر على اسماعيل صبري ، الشاعر المترف ، انه كان من اوائل الشعراء الذين ادخلوا نسم الرومنتيكية الى الشعر العربي الحديث وذلك يعود الى مزاجه واطلاعه على ادب الفرنجة وخاصة لامرتين .

وبعد ، حسب اسماعيل صبري ان شعره قطائف بجوز وظروف حلاوة وانه خرج بالذوق الشعري فبلغ النهاية .

ميشال جحا

عندما قرر أن يغادر مقاعد الدرس كان يعلم بانه يضع حدا فاصلا لاحلامه اللامتناهية . ولكنه لم يكن يعلم بان الحياة لم تفتح له صدرها ، فارتد الى الوراء يسترجع في ذهنه شريطا طويلا من الصور ذات الوان باهتة الا انها عميقة الاثر . وبقي هذا الشريط يدور في رأسه سنوات طويلة من التخبط .

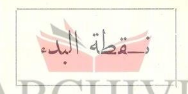
انتقل « وليد » بعد انفصاله عن المدرسة بين عدد من المهن الحرة . عمل في التجارة زمنا كافيا لاتقانه المهنة ولكنه وجد نفسه غريبا عنها في النهاية فأولاها ظهره غير آسف. وعمل في الخياطة ردحا اخر من الزمن فجمع اسرارها بين انامله ولكنه فعل كما فعل من قبل ، قرر ان يهجرها لانه اكتشف بانه لم يخلق لها . وعمل في الميكانيك واصبح في وقت قصير ملما باطراف المهنة ولكنه تركها عندما اضطر ذات مرة « للنزول » تحت سيارة شاب كان رفيقا له في الصف . وحاول بعد ذلك ممارسة مهن جديدة فأحاط ببعض جوانبها ولكنه ابتعد عنها جميعا.

كان احلى مشهد تقع عليه عيناه مشهد الطيور المسافرة عبر السماء الى مكان مجهول . كان يحس بان قلقه لن ينتهي حتى يستقر في عمل يعيد اليه ثقته بنفسه واعتداده بها . ان عددا من رفاقه تمكنوا بعد حصولهم على الشهادة التي خسرها من احتلال مراكز مرموقة في المجتمع ، وبقي هو متخلفا عنهم ، بعيدا عن اجوائهم ، رغم تفوقه عليهم اثناء الدراسة .

كانت الظروف التي واجهته في صدر شبابه قاسية ، ورغم انها حالت دون تحقيق امانيه الا انها لم تقتل فيه رغبته في تحقيقها ذات يوم . انه يريد ان يكون شيئا ما في هذه الحياة ، انما كيف ؟ اين هي نقطة البدء ؟ متى يلتقي بها ؟

كان السؤال ، على قصره ، يضعه دائما في صميم المأساة ويجعله يحاول من جديد البحث عن الطريق . قرر أن يرتد الى العلم ولكن الحظ خذله لكثرة مشاغله وهمومه ، وعندما ظهرت النتائج لم يجد أسمه بين الفائزين في الامتحان . وقرر السفر الى بلد ناء غريب يدفن فيه ضياعه الا ان مسؤوليته تجاه افراد اسرته عرقلت مشروعه وبددت في عينيه مشهد السماء والبحار التي لا تنتهي .. فبقي في المدينة يواجه كل يوم جانبا من جوانب انحداره .

صديقه « مأمون » صار طبيبا وعلق على باب عيادته لافتة ملأت عينيه قبل ايام . صديق له اخر شاهده يرافع امام هيئةاحدى المحاكم في المدينة . وثمة وجوه عديدة كان قد عرفها اثناء الدراسة التقى بها مرات ومرات في دوائر الدولة وفي



بقلم اسكندر لوقا

المؤسسات الرسمية والشركات الكبرى . وبقي هومتخلفا عن الجميع .. بقي في الظل !

وكانت المعضلة تحل بشكل من الاشكال كل مرة ، ولكنه حين عزم على الزواج من فتاة شاهدها واتصل بها ، تضخمت بحيث اصبحت ثقلا يضغط على صدغيه . فقد قررت الفتاة فجاة الابتعاد عنه لانه مجرد عامل بسيط في مصنع . وكانت معرفته بها قد نشأت بعيدا عن جو العمل في احدى الحدائق العامة . عندئذ فقط انبثق ماضيه أمام عينيه جدارا يسد كل المنافذ : موت ابيه وهو في الخامسة عشرة من عمره ، زواج أمه من رجل اخر . مسؤوليته الجسيمة تجاهاخوته الثلاثة الصغار . خروجه من المدرسة وانغماسه في المهن المختلفة . حالة ألَّا استقرار التي يعاني منها منذ سنوات . ثم كانت الفتاة المراة الاولى التي انعطف نحوها في صباه وتجسد فيها كل مستقبله . كانت الفتاة بالنسبة اليه كل شيء .. فجاء انسحابها من دنياه شعاعا محرقا لاحلامه الذهبية .



كان « وليد » يتصور نفسه على الدوام واحدا من رجال المجتمع المرموقين . ان معظم اساتذته في المدرسة شهدوا له بتفوقه على اقرانه وسمع منهم مرا تعديدة : وليد سيكون ذا شأن كبير عندما يكبر . وكان ابوه قبل ان يذهب عنه بعيدا يقول له : ستصير طبيبا لانال شفائي على يديك . ولكن الزمن لم يمهله ، مات ابوه بتأثير مرض ما ، ولم يصبح هو طبيبا . وعندما تزوجت امه بعد وفاة ابيه احس بغربة عنها ، ولكنه كان مضطرا للبقاء معهما من اجل اخوته الثلاثة الصغار . كان يقدر مسؤوليته تجاه هؤلاء ما داموا قاصرين ، وما دامت امهم قد قذفت بنفسها في دوامة زواج جديد ابعدتها نهائيا عن الاهتمام بشؤونهم ، حتى الصغيرة منها . وأما بالنسبة اليه ، فقد كان انغماسه في الحياة العملية بدافع منها ايضا . قالت له ذات مرة:

ـ انا لا اضمن ان ينفق زوجي امواله عليك . انك في السابعة عشرة من عمرك ، وقد مضت سنتان على وفاة ابيك ، ولم يعد بوسعي تقديم العون لك لاستمرارك في الدراسة . يجب ان تعمل لتعيل نفسك على الاقل . اما اخوتك الصغار فقد قبل زوجي اخذهم على عاتقه ، مبدئيا .

وقعت كلماتها عليه كالاشواك . كانت تفصله عن الشهادة الثانوية يومذاك سنة واحدة فقط . فقال لها:

ـ ولكنك تحطمين بدقيقة كل ما

بنيته طوال سنوات .
عقدت امه حاجبيها دهشة :
ــ وكيف يكون ذلك ؟
قال لها محاولا تجنب اثارتها :
ــ لو أنك انتظرت سنة اخرى لحصلت على شهادتي . عندئذ كنت اوفر لك ما ينقصك دون اللجوء الى رجل اخر .
ــ وماذا كنت ستفعل من اجلنا ؟ ان القروش التي خلفها لنا ابوك انتهت .
ــ كنت اشتغل . كنت احاول ان اعوض كل شيء .
ــ انك طفل وتفكيرك ضيق . انظر الى اخوتك واسألهم هل ينتظرون يوما واحدا بلا طعام ؟
قال لها بصوت متردد حائر :
ــ لا ادري . ولكن مستقبلي على اي حال اصبح الان مشوش الملامح . .
قالت له محتدة :
ــ اذا كنت لا تدري فينبغي لك الا تكون انانيا على الاقل . واما اذا كنت تريد ان تمثل دور الرجل فيجب عليك ان تلجأ الى وسائل الرجال لتعيل نفسك وتساعدني على التخفيف من اعباء المسؤولية التي حملتها لرجل لا شأن له بأطفال رجل اخر كان يوما يمتلك زوجته !!
ادرك « وليد » ان الحديث يجب ان ينتهي عند هذا الحد ، فارتد الى واقعه وفي مخيلته صورة قاسية لوجه جامد ممتقع اللون تركه ومضى بعيدا عنه حتى الابد .

✶

عشر سنوات امضاها « وليد » متقلبا هنا وهناك ، غير مستقر على حال . ومع هذا فان ثمة رغبة تستيقظ في اعماقه من حين لاخر وتشع في كيانه كله : انه يريد ان يكون شيئا ما في الحياة . يريد ان يحقق فراسة اساتذته فيه . ان يصير واحداً من الناس المعروفين في المجتمع . ولكنه من أين يبدأ ؟ ان نقطة البدء مشكلة لا يجد لها حلا . ولهذا كان ايمانه ضعيفا بها . وعندما استدعاه « عبد الماجد بك » الى مكتبه في شركة التجارة والنقليات عبر الصحراء لمقابلته فكر اكثر من مرة : هل اذهب اليه ؟ ولكنه ، بعد تردد لم يطل ، وجد نفسه يقرأ اللوحة النحاسية المعلقة على بابه « المدير العام » . . ثم يردد ذلك عدة مرات بينه وبين نفسه !
استقبله « عبد الماجد بك » بابتسامة عريضة :
ــ ما شاء الله ما شاء الله ! لم اكن ادري ان صديقي المرحوم عزيز افندي خلف شابا مثلك . تفضل ، تفضل !
وتفضل « وليد » فجلس على كرسي مريح غاصت مؤخرته فيه كانه قد وضعها فوق طبق من اللحم الطري .
ــ اهلا وسهلا . اهلا وسهلا .
وضغط المدير العام على الزر المثبت بجانب يده ، فامتثل الآذن على الفور :
ــ قدح ليمون للاستاذ . .
ثم التفت نحو « وليد » مرحبا به من جديد .
ــ اهلا وسهلا .
ــ بكم يا سيدي !
ــ سمعت بانك لا تعمل في الوقت الحاضر .
ــ فعلا . ولكنني ابحث عن العمل الذي يلائمني .
تضاحك « عبد الماجد بك » قائلا :
ــ تعني انك ، باختصار ، تبحث عن نفسك ! الذي يبحث عن العمل الملائم يقضي عمره كله باحثا عن هذا العمل . موافق ؟
اضطر « وليد » الى التزام الصمت لانه لم يكن مقتنعا بجدوى المناقشة . وتابع محدثه قائلا :
ــ المهم ان يبدأ الانسان عملا ولا يتوقف . وبعد مضي وقت يشعر بان هذا العمل اصبح جزءا منه . واذا استطاع ان يوجد بينه وبين عمله صلة روحية آمن بان هذا العمل هو ، وليس سواه ، الملائم له . موافق ؟
هز « وليد » برأسه علامة الموافقة المبدئية التي تفرضها عليه حالته الراهنة الى حد ما .
هناك مثل يا بني يقول « كل كبير بدأ صغيرا » . ومثل اخر يقول « الميل يبدأ بخطوة . بخطوة » . موافق ؟
هز « وليد » برأسه علامة الموافقة : كلامه صحيح ومعقول !
ــ وعندما كنت في سنك ، لم يكن بابي يحظى باللوحة النحاسية التي قرأتها ولا شك . كنت مجرد انسان عادي ولكنني كنت اختلف عنك في شيء واحد فقط .
وانتظر « وليد » حتى ينهي « عبد الماجد بك » اشعال لفافته . .
ــ لم تكن ضائعا مثلي .
ــ فعلا ، هذا ما كنت اريد ان اعبر عنه . كنت اعمل في احدى الشركات المماثلة لهذه الشركة .
واضاف :
ــ وان كان عملي بسيطا ، وبسيطا جدا .
وادخل الى جوفه كمية كبيرة من دخان اللفافة المحترقة ، ثم اخرجها وهو يحاول تخيل مشهد قديم :
ــ ان بدايتي كانت من هنا .
وامسك بسلة المهملات التي بجانبه ورفعها الى الاعلى :
ــ كانت وظيفتي ان انظف جوفها من قصاصات الورق المهمل ، وان ازيل احيانا ما علق بجوانبها من اثار البصاق . ثم شيئا فشيئا تقدمت واصبحت كما ترى . وكان والدك رحمة الله عليه من اطيب الذين عرفتهم في حياتي . كان صديقي الحميم في العمل طوال سبع سنوات ، وله فضل علي لا انساه .
واستدرك قائلا بعد أن اطال النظر عبر النافذة العريضة :
ــ وهكذا تراني مدينا له. ويسرني ان اقدم لك خدمة .
ونفث دخان لفافته حلقات متتابعة في سماء الغرفة محاولا طرد

يا قضية
اتيناها باعصابي ، بخجلي ، بحياتي
ما الذي أهديـــك والميلاد آت ؟
زمني شـــح فما عاد يواتي
لم يفتح بعد حقل البيلسان
ليس في كفي تبر او جمـــان
لم يعلق لي مجوس الارض مرا او لبـــان
لم أجد غير حروف عربية
مثل عينيك لها عمق الزمان
وجلال الابدية

ويقول في قصيدة « عربيـــة » :
بسمة
بوقفة كبر ، بكلمة
تجسد انثى حقيقة امة

ويقول في القصيدة نفسها :
وآهـــــة
تنسد فهذي الهـــة
تمرغ أنف التفاهة
تفجر عطاء وغوثا
فهذي أيا رمل أنثى
تصوغ تصبيـــك بعثا
لاول مرة .

خليل انسان مؤمـــن اشد الايمـــان بروحيـــة الشرق وصوفيتـــه التي تميز بها طوال أمد بعيد في عمر الوجود .. وهو لا ينسى بهـــذا قضيته التي يكافح من أجلها ويدافع ! بل يلح باصرار غريب علىالصمود أمام متاعب الحياة بكل ما في صدره من شحنات محبة وطيب في احد مقاطع « الى جميلة القضية » يقول :

ربما غنيت لحنا للسلام
بعد عام ، بعد عامين ، ثلاثة
ألف عام
غير اني لن أغني الان ما دام الســـلام
حائلا يمنع عن فجري انبعاثه

ان انسان خليل لا ينسى في دفاعه عن قضيته .. وكفاحه من اجل وجود اسمى ، وبحثه عن حقه السليب بعناد مرير ,. لا ينسى ابـــدا أن يفجر من قلبه انهار محبة ، ليمسح العقبات التي تجتاح عالمهوتحاول ان تكبلـــه بعقـــد اثيمة تخنـــق كل ما فـــي عيونه .. اغـــاني توثـــب وطموح ، وما في صدره ازهار امل فاتن . خليل يعبر عن انسان القرن العشرين بكل ما تحمل هذه الكلمةمنمعنى ، وهو كما يقول الدكتـــور أحمد كمال زكي في مقدمة الديوان : « يتحرك كما الزمن ، يتقدم من الخاص الى العام ، من التمرس الواقعي ، الى التمرس المجرد ، الـــى الذوبان الاكبر » .

ولا يمكن لهاجس من الشك ان يدق قلوبنـــا ابدا فـــي المعنى الـــذي قاله الدكتور . فهذه الصورة المتسارعة ، وهذا التمثل الواعي للثقافة الانسانية ، يؤكد اكثر فاكثر بان خليل ينمو ويتطور بسرعة عميقة بعيدة الغور . هذا النمو تشوبه مسحة من الحزن الرقيق ، الا ان حزنـــه لا يوغل في التشاؤم مما يدل دلالة اكيدة على واقعية خليل . وما الحزن الذي يلوئه الا رد فعل رزين للصعوبات الكثيرة التي تعيق ركب التحرر العربي. ففي « اغنية الى تلمسان » يقول خليل :

يا عروسا مزقوا فيها البكارة
البسوها الشوك اكليلا
سقوها الحقد سما ومرارة
عصروها ، نسجوا من دمها الطلول نعشا ووشاح
احرقوها فهي حبات رماد ودخان
ورموها للرياح الهوج تدميها ، وأسياط الرياح

الا ان شبح الاسىسرعان ما يضيع .. يتبدد . فقد اشرقت شمس البعث .. وتأودت عرائس الخصب ، وتفتحت ازهار البيلسان :

عروس الخصب ، زهر البيلسان
يقرع الناقوس من سبعة اجيال افيقي ..
يصرخ البعث أفيقي عاد عاد
عاد تياها على مهر الجهاد
عربيا أحرقته الشمس عاد
بعث الصامت حيا ، صار عبد القادر الماجد
بن بـــلا « أفيقي عاد عاد »

وفي قصيدة « احزان رجل جزائري » ينتفض النسر العربي ، ويصرخ بوعي وانفعال حادين .. صاخبين:

من قال ، من ؟
من قال اني ضائع وحيد
حزني ؟ جراحاتي ؟ بقايا صدأ القيود
احرقتها ، صهرتها في لافح الحديد

انسان خليل مؤمن أشد الايمان بالبعث .. بذوبان الجليد العفن تحت اطلالة شمس حرة أبية . نلمح كل هذه المعاني في القصائد التالية: « أغنية الى تلمسان . النسر والاصرار . الى جان بول سارتر » .

ما هي مقومات شعر خليل ؟ حتى نجيب على هذا السؤال : علينا أن نتساءل : هل استطاع خليل أن يعطينا صورا واقعية حية ، تفيض بزخمها الانساني ... وتعبرأصدق تعبير عما في نفسه من رغبات ، وما في صدر امته من أماني أم لا ؟ اعتقد انه لن نجد اية صعوبة بالاجابـــة على هذا السؤال . فالبساطةالتي تزخم قصائد الخوري لا تغيبنا ابـــدا في متاهات حلزونية ، فرموزه سهلة .. قريبـــة للواقع . من رمـــوزه « النسر » وفي موته وحياته يرى خليـــل معاني الوجود بدفئه وحيويته. أما صوره الجياشة ، المتسارعة ، فقد نهج في صددها منهج العرض والوصف ، فجاءت تعبيراته واضحة ، والفاظه متقنة ، صاحبتها نغمات موسقـــة حافلة بالمشاعر .

●

بقيت كلمة أخيرة في « صلواتللريح » تتعلق باهداء الديوان لاحمد بن بلا . أنا لا انكر عذابات « بن بلا » في سجنه ، ونفيه ، طوال سنين عديدة . الا انني كنت اتمنى لو اهديت هذه المجموعة لتـــراب الجزائر .. لناسها .. لبلد المليون شهيد المخضبة بنجيع لا يمحى ..

دمشـــق — نجيب حوا

●

الغزل في شعر كربلاء المعـــاصر

دراســـة ادبية ـ تاليف عدنان غازي الغزالي ـ ٦٢ صفحة ـ مطبعـــة الاداب في النجف الاشرف

هذه دراسة تتناول الغزل في شعر كربلاء المعاصر قدم لها الشاعر خضر عباس الصالحي : « كلنا يعلم علم اليقين ان الحب هو الينبوع الثر الذي ينهل منه الشعراء منذ ان عرف الشعر لان الشاعر هو ذلك الانسان المرهف الاحساس ، المتدفق العواطف ، الجياش الشعور .» كما أورد

سكانها ٨،٠٣١،٠٢٧ شخصا ، وتتلوها نيويورك وعدد سكانهـا ٧،٧٨١،٩٨٤ شخصا ، ثـم شنغهاي وفيها ٦،٩٩٠،٠٠٠ شخص . وتاتي لندن الحادية عشرة في الترتيب اذ يبلغ عدد سكانها ٣،٩٥٠،٠٠٠ اما سكان لندن وضواحيها فعددهم ٨،١٧١،٠٠٠ نسمة .

● اعلنت مجلة « بتروليام برس سيرفيس » في لندن ان بترول شمال افريقيا يتدفق الان على غرب اوروبا بمعدل ٤٠ مليونا من الاطنان في العام الواحد .

● استطاعـت مختبرات بريطانية فـي لنكولنشير فـي مزارعها الخاصة وبفضـل تجارب دامت ثلاثين عاما ابتكار نوع من القمح الذي يزرع في الشتاء ويعطي محاصيـل كبيرة . وهو اول نوع معروف يتمتع بمقاومة كبيرة ضد جميع آفات القمح وامراضـه . وسيكون بشرى عظيمة للمزارع في كثير من اجزاء المعمورة .

● نجحت في مركز الابحاث القائم فـي آبردين في اسكتلنـدا التجارب العلميـة لاختبار طريقة تكنية جديدة في تجفيف عـدة انواع من الاطعمة كالاسماك واللحوم والاثمار والبقول . وهذه الطريقة تقوم على تبخيـر المياه من المواد الغذائية المذكورة فـي آلات مفرغة من الهـواء فينقص حجمهـا الـى حد ضئيل ثم توضع في برادات وتظل هكـذا محفوظة في حالة صحية سليمة كي تؤكـل دون ان يتسرب اليها التلف او الفساد مـدة تزيد على ١٨ شهرا . ويكفي ان تعاد اليهـا ابان عملية الطهـي كمية الماء والنسبـة الطبيعية التي نقصت منها فتعود الى سابق حجمها ونكهتها وطعمها مع الاحتفاظ بكـل خصائصها الغذائية الصالحة . وفـي هـذه المحاولات فوائد كثيرة للتجار والمستهلكـين من ناحية توفير نفقات الشحن والتوضيب واشغال الفراغ والمكان .

● ابتكرت معامل هوكر سيدلي البريطانيـة دماغا آليا يعرف « بالمفتش الالكتروني » عـن احوال الطائرات وصحة اجزائها الميكانيكية ومعداتها جميعا واجهزة المقاييس الخاصـة بالضغط والحرارة والمحروقات والارتفاع وما الى ذلك بصورة تلقائية . ويقوم بمهماتـه بسرعة مدهشة اذ يتحرى الف قطعة مـن الطائرات في ساعة واحدة فيوفر الوقـت الكبير على المهندسـين المسؤولين ويمكـن الاطمئنان الى نتائج تحرياته بصورة كليـة تامـة .

● صممت شركة بريطانية نماذج من جهاز بيتي لتسجيل الافلام التلفزيونية وعرضها في نفس الوقت . وتامل الشركة ان تنزل هـذا الجهاز للاسواق قبل اواخر هذه السنـة لبيعه بأقل من ستين جنيها . وهذا الجهاز عبارة عن كاميرا وآلة عرض بامكان فـرد العائلة ان يصور فيه ما يعرض في التلفزيون المحلي ويعيد عرضه بعـد دقائق معدودات لمتعته الشخصيـة ولمتعة افراد اسرتـه واصدقائه . وهو في عمله يشبه آلة تسجيل الصوت الا انه الة للتسجيل المرئي . وبامكان الفرد ان يصور فيه اي شيء حي ويعيـد عرضه مباشرة في التلفزيون . ويلحق بالجهاز شريط للتسجيل المرئي والصوتي فـي ذات الوقت . وطول الشريط خمس عشرة دقيقة ويمكن استعماله عدة مرات كما هي الحالـة مع شريط تسجيل الصوت . ويمكن استعمال وجهي الشريط. وهذا الشريط المرئي الصوتي يكلف احد عشر جنيها . يدعى هذا الجهـاز التلفزيوني البيتي « تيليكان » وهو انجاز هندسي عظيم حقا خاصة اذا علمنـا ان الجهاز الكبير منهوالذي تستعمله استوديوهات التلفزيونات يكلف اربعة الاف جنيه .

● انجزت شركـة « فلكورت المحدودة » بمدلسكس ببريطانيا مؤخرا صنع جهاز لتكبير صوت التلفون اطلقت عليه اسم « كومبتون ». واصبح من غير الضروري بعد الان الصـاق سماعة التلفون بالاذن ، بل يكفي وصـل الجهاز الجديد بالتلفون لينطلق الصوت منه واضحا جليا وكأن المتكلم يتحدث من نفس الغرفة بصوته الطبيعي ، وبالاضافة الى هذا فانه يمكن التحكم بدرجة ارتفاع او انخفاض الصوت بواسطة مفتاح صغير في جهـاز كومبتون ، اي بمعنى اخر يستطيع المرء ان يرفع الصوت ليتيح لغيره من الموجودين في الغرفة سماع المحادثة او خفضه الـى درجـة لا يسمعها غيره ، وهذا الجهاز مفيد للغاية للذين يشكون من ضعف في السمع . ويعمل جهاز كومبتون على بطارية صغيرة ذات قوة تسعة فولط وتعيش هذه البطارية الصغيرة بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ ساعة عمل . وجهاز كومبتون هو في الوقت نفسه راديو ترانزستور كامل ، يستطيع ان يلتقط بوضوح تام المحطـات المحلية التي تذيع على الموجات المتوسطـة ، ويباع هذا الجهاز حاليا باسعار زهيدة علـى الرغم من دقته وفعاليته المتناهية ، ومـن المتوقع ان يعم استعماله قريبا في جميـع اقطار العالم .

● اقيـم في لنـدن معرض للساعـات والمجوهرات عرضت فيه اصغر ساعة فـي العالم .. فالساعة صغيرة الى درجة انـه يمكن تغطية وجهها تماما برأس عود كبريت . كما ان جهاز الساعة مكون من ٧٤ جزءا مثل مساحة توازي ١/٨ قطعة صغيرة من السكر .. وثمن الساعة بأسورتها يبلغ ٥٠٠ جنيـه استرليني .

● اخر مولود في دنيا الترانزستور عبارة عن ترانزستور صغير جدا جدا يقـوم بدور المبيد للذباب والبعوض والحشرات المنزلية ! ان هذا الترانزستور الذي توصل اليـه العلماء في اليابان الى ابتكاره تصدر منه ذبذبات معينة لا تتحملها الحشرات فتمـوت في التو واللحظة . ويؤكد هؤلاء العلمـاء ان الاختراع الجديد سوف يقضى على متاعـب ربات البيوت . فيكفي ان تعلق ربة البيـت ترانزستور على جدران بيتها حتى تهرب كل الحشرات .

● لمح راديـو موسكو الى ان الاتحـاد السوفياتي اوشك على اطلاق سفينة فضـاء تحمل رجلا الى القمر . قال الراديو : « ان الوقت قد اقترب لوصول اول رجل الـى القمر ، وان العلماء الروس يقدرون ان رحلة الانسان الى القمر ستستغرق ٥ ايام » .

● يصنع مصنـع الانشاءات الميكانيكيـة الضخمة في الاورال (روسيا الاتحاديـة) منشأة حفر فريدة من نوعها تسمح للانسان بان يدخل القشرة الارضية الى عمق ثمانيـة كيلومترات وحتى الى عمق عشرة كيلومتـرات في بعض الظروف .

● يأمل علماء يقومون بأعمال الحفر فـي مناطق ثلجية وجليدية يعود تاريخها الـى مئات السنين باكتشاف حقائق جديدة تتعلق بتاريخ الكرة الارضية . ويقوم هؤلاء العلماء الان بحفر ثقب يبلغ عمقه ٧٠،٠٠٠ قدم فـي القطب الجنوبي ليعرفوا كيف كان المنـاخ قبل ٧٥٠،٠٠٠ سنة . وقال الدكتور هنري بادر من اساتذة جامعة ميامي في حلقـة دراسية حول ما تم جمعه من معلومات خلال السنة الجغرافية الطبيعية ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ انه ثبت من عينات ثلجية حللت ان هـذه العينات تساقطت في سنة ٩٥٠ للميلاد . واضاف الدكتور بادر يقول ان النتائج دلت على ان حرارة الارض ارتفعت في القـرن الماضي وان تساقط الثلوج قل خلال العقود الاخيرة .

● تيسر الان معرفة عمر اي الحفريـات التي يعثر عليها الباحثون عن تاريـخ الارض واحيائها بمعرفة غاز الازوت الذي تحويـه الحفرية سواء اكان ناب احد الحيوانـات او جزءا من عظامها . وقال احد علماء بريطانيـا انه من الميسور معرفة نسبة هذا الغاز فيها، وبه ايضا تسهل معرفة نسبة الكربون الذي بقي فيها مما يحدد عمر الحفرية . وقـال العالم انه يمكن استخدام هذه الطريقة كعامل مساعد لتقدير عمر الحفرية بواسطة الكربون المشع الذي يحدد عمر الحفرية بما طرأ عليها من تغيرات .

الى محاولة فك السلاسل عن التفكير واساليبه ووسائله ويعتبر الياس قنصل هذه المحاولة جريئة لانها تحويل لاتجاه الادب العربي في المهجر عن طريقه المعروفة في البلاد العربية لانجاح الادب الى طريقة جديدة هي بداية التجديد في الادب العربي عامة .

اما ادب المغتربين في الجنوب ، فالنزعة الحماسية هي الشارة التي امتاز بها ، فهو يتناول الموضوعات الوطنية وجها لوجه ، ويعالجها معالجة عاطفية قد تكون في كثير من الاحيان اصدق من الدواء العقلي لها ، ويبدي رأيه في المشاكل العربية دون تلطف ، وهو يشترك وأدب الشمال في الحملة العنيفة على التفرقة المذهبية التي يثيرها الاستعمار في وطننا لبلوغ مقاصده المعروفة .

ويشير الياس قنصل الى ان المغتربين لم يحملوا من وطنهم الا الذكريات والعزائم ، فخاضوا غمرات الكفاح اليومي في سبيل المعاش، ولم تتمكن المصاعب التي كابدوها من ان تمحو من خواطرهم صورا حفرتها ايام الصبا والشباب التي قضوها بين اهلهم وابناء عشيرتهم .

ويوازن الياس قنصل بين الادب الاندلسي الذي ترعرع بعد ان استتبت دولة العرب في تلك الديار وهذا الادب المهجري الذي بنته الجهود الفردية وارسته التضحيات الشخصية ، وجبل ترابه العرق الذي تصبب من الجباه وما كاد المستقبل تبدو فيه التباشير الضاحكة حتى اينع الشعر واخضوضر وانتشر الجمال وتفرع التجديد وعم ، واخيرا يتساءل المؤلف عن مصير الادب العربي في المهاجر الامريكية فيجيب : « انه يتلاشى شيئا فشيئا ويخفت صوته رويدا رويدا ، ولن يمر عليه طويل وقت حتى يصبح اثرا بعد عين يذكره الباحثون والمؤرخون حين يريدون ان يدرسوا مراحل الادب في ميدان النهضة الفكرية الاخيرة . لسنا من المتشائمين : اننا في طليعة من يظل معلقا بخيط الرجاء والامل منتظرا ان يصل به الى حيث يبغي وان يكن ما يبغي بعيد المنال ولكن الحقيقة يجب ان تقال ، حتى اذا كان بالامكان ملافاة ما تجره من خطر واذى يعمد الى تلافيهما والا وطدت النفس عن قبول ما تنطوي عليه من اذى وخطر .

ان العوامل العديدة تتضافر في المهاجر الامريكية لتقضي على هذه الدولة الادبية الباذخة التي لايستطاع انكار تأثيرها في حياة القلم العربي.

ان هذه العوامل تتضافر وتتجمع وتتحفز لتغلب الادب وهو لا يزال مع ذلك يدافع امجد دفاع لا يبرح واقفا وقفة العز يأبى ان يسلم سلاحه، واذا رجحت عليه كفة القوى التي يجابهها فلن ينهزم ولن يفر من المعركة ولكنه سيقضي وهو منتصب على قدميه كما تقول الدوحة العظيمة التي اعتادت ان تفرش اغصانها ليستظل بها كل عابر لفحته الشمس .

سيتلاشى الادب العربي في العالم الجديد بعد ان تتلاشى الصحافة العربية فيه وهي الميدان الذي كان يجول بين حدوده .

والصحافة العربية في المهاجر قد دخلت لسوء الحظ في هذا الطور الذي تنظر اليه الضاد آسفة ان المهاجرين القدامى وهم الذين يغذون الصحف بالمطالعة والتأييد والمؤازرة قد اصبحوا على ابواب الابدية وكثيرون منهم قد اجتازوها الى رحمة الله ، واولادهم واحفادهم قد انقطعت بينهم وبين المطالعة العربية الصلة او اوشكت ان تنقطع لان البيئة التي يعيشون فيها قد دفعهم سيلها العرم وهذه البيئة تعتبرهم اولادها بحكم الولادة والسياسة والعرف الدولي كما هو في الواقع ، وهم يعتبرون انفسهم ابناءها كذلك بحكم التربية والمعاشرة والمعايشة ، ودفقات المهاجرة التي كانت لا تنقطع من البلدان العربية الى العالم الجديد قد خفت او جفت ولن تعود اذا عادت الا ضئيلة او هزيلة من جراء ما اتخذته وما تتخذه البلدان العربية من اجراءات تقف دونها » .

ان كتاب أدب المغتربين صرخة مدوية يرسلها الياس قنصل لتنبيه القائمين من اهل العربية الى الخطر الذي يتهدد هذا الادب الاصيل الذي نعتز به ونفخر .

(الجندي) ــ دمشق